



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



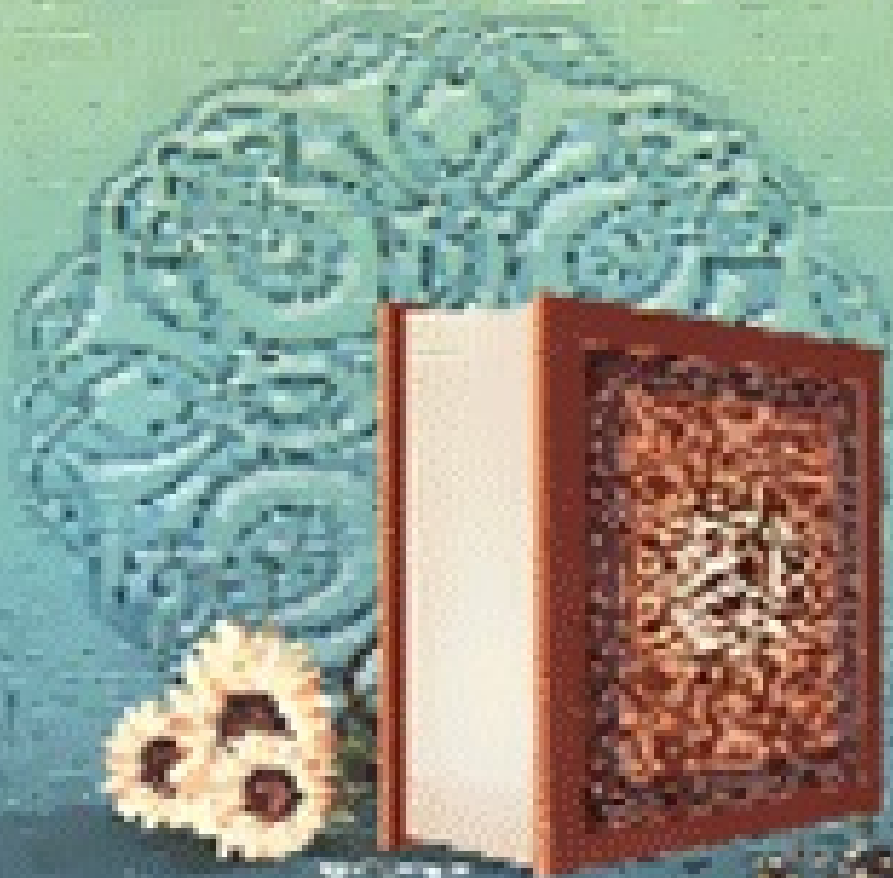
عشر
عليه
ص

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

الإيجاز القرآني في

فقه الشورى

وتحولاتها



مؤلف: د. محمد بن عبد الوهاب

الطبعة الأولى: 1425هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها

كاتب:

احمد محمد المغيني

نشرت في الطباعة:

دار الايمان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٧	الإعجاز القرآنى فى فواتح السور و خواتمها
٧	إشارة
٧	مقدمة
٧	أم الكتاب و البقرة [الفئات الثلاثة]
٩	آل عمران و النساء [التقوى]
١٠	المائدة و الأنعام [الاسلام اول النعم]
١١	الأعراف و الأنفال [ذكر الله تعالى]
١٣	التوبة و يونس [صفاته صلى الله عليه و سلم]
١٥	يونس و هود [رحمته صلى الله عليه و سلم]
١٦	يوسف و الرعد [فضائل القرآن الكريم]
١٨	الإسراء و الكهف [الحمد لله]
١٩	الكهف و مريم [افضل الدعاء]
٢٠	الحج و المؤمنون [صفات المؤمنين]
٢٢	النور و الفرقان [علم الله سبحانه و تعالى]
٢٣	النمل و القصص [موسى عليه السلام مع فرعون]
٢٥	الروم و لقمان [الامثال فى القرآن]
٢٦	لقمان و السجدة [مفاتيح الغيب الخمس]
٢٧	السجدة و الأحزاب [استعجال العذاب]
٢٩	فاطر و يس [عاقبة المكذبين]
٣٠	يس و الصافات [كلمة التوحيد]
٣٢	الصافات و «ص» [وعد الله بالنصر]
٣٣	ص و الزمر [الاخلاص فى العبادة]

- ٣٥ الزمر و غافر [التقابل في القرآن]
- ٣٦ محمد و الفتح [الاسوة الحسنه]
- ٣٨ النجم و القمر [علامات الساعة]
- ٣٩ التكوير و الانفطار [الجنة و النار]
- ٤٠ البروج و الطارق [الثبات على المبدأ]
- ٤١ الكافرون و النصر [كراهية الكفار لسورتي الكافرون و الاخلاص]
- ٤٣ خاتمة الكتاب
- ٤٥ أهم المراجع الأساسية
- ٤٥ الفهرس
- ٤٦ تعريف المركز القائمة باصفهان للتمريرات الكمبيوترية

الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها

إشارة

نام كتاب: الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها نويسنده: احمد محمد المغيني موضوع: اعجاز تاريخ وفات مؤلف: معاصر
زبان: عربي تعداد جلد: ١ ناشر: دار الايمان مكان چاپ: اسكندريه سال چاپ: ٢٠٠٤ نوبت چاپ: بی نا

مقدمة

مقدمة بسم الله، و الحمد لله، و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله و صحبه و من والاه .. و بعد. كلما تأمل المؤمن آيات القرآن الكريم، و غاص في بحاره التي لا حدود لها، سيجد من الإعجاز البلاغي ما لا قدرة لبشر عليه، و سيشعر بالمعنى العميق في الآية: قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (الكهف: ١٠٩)، و من هذا الإعجاز يعرف من أنواع البديع «تشابه الأطراف» بمعنى أن العديد من سور القرآن الكريم نجد أن افتتاح كل منها في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، و هذا من وجوه الإعجاز البلاغي للقرآن المتعددة و الممتدة إلى يوم القيامة، و هذا يتضح من ترتيب المصحف و ترتيب النزول. إن من تعامى عن النور فلن يضر النور في شيء، و إنما يضر نفسه، و هؤلاء من ذكرهم سبحانه في كتابه: وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (الأنعام: ٢٥). إن الله سبحانه و تعالى ختم آخر ما نزل من القرآن بأحسن ختام، و بما يناسب كمال الدين الحنيف، ففي آخر آية نزلت: وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (البقرة: ٢٨١)، سنجد في الآية من الإشارة إلى معنى الوفاء المستلزمة لخاتمة النزول، و ما في ذلك من الإشعار بالآخرة المستلزمة للإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٦ له، و ما في ذلك من وعد و وعيد، فالله سبحانه يعظ عباده، و يذكرهم زوال الدنيا، و فناء ما فيها، و إتيان الآخرة، و الرجوع إليه تعالى، و محاسبته لعباده على أعمالهم، و مجازاته إياهم بما كسبوا من خير أو شر، و يحذرهم من عقوبته لمن لم يبادر بالتوبة. أما آخر سورة نزلت و هي «سورة النصر»، فيها الإشعار بالوفاء، و كان صلى الله عليه و سلم يقول في سجوده بعد نزولها: «سبحانك اللهم ربنا و بحمدك، اللهم اغفر لي» (رواه البخاري)، و في هذا بيان لفضيلة الاستغفار خاصة في خواتم الأمور. إنه من أراد عيش السعداء و النجاة يوم الحشر، فعليه بتلاوة القرآن كلام الرحمن. و قد جاء برواية مسلم: «و ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة و غشيتهم الرحمة و حفتهم الملائكة و ذكرهم الله فيمن عنده» - جزء من الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم. نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المحبين لتلاوة القرآن الكريم و العاملين به، و أن يجعلنا ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أهل القرآن هم أهل الله و خاصته» (رواه مسلم). اللهم اجعل القرآن شفيعا و نورا و ضياء لنا يوم القيامة «ربنا اغفر لي و لوالدي و للمؤمنين يوم يقوم الحساب»، إنك قريب مجيب الدعاء. الكاتب الإسلامي أحمد محمد أحمد المغيني الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٧

أم الكتاب و البقرة [الفئات الثلاثة]

أم الكتاب و البقرة [الفئات الثلاثة] الفاتحة و البقرة ترتيبها في المصحف (٢، ٣)، و أما حسب نزول الوحي فالأولى مكية و من أوائل ما نزل من القرآن، و الثانية أول ما نزل بالمدينة و ترتيبها (٥، ٨٧)، و جملة المطلوب في خاتمة الفاتحة هو الإيمان الذي ذاق المؤمنون

حلاوته، وشعروا أنه يشتمل على كل النعم، و لما أنهم طلبوا اتباع الصراط المستقيم و هو كتاب الله، فقد استجاب لهم و أعطاهم ما توجّهوا إليه بالدعاء: اهدنا الصراط المستقيم (الفاتحة: ٦)، فكانت إجابة الدعاء ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمؤمنين (البقرة: ٢). و من الإعجاز القرآني أن الفاتحة ذكرت في آخرها ثلاثة طوائف و هم: الذين أنعم الله عليهم بالإيمان و قد كرمهم بأن خصهم بالنسب إليه سبحانه، و المغضوب عليهم لتحريفهم التوراة، و أهل الضلالة لعدم استماعهم لنبيهم الذي جاء مبشرا بالنبي الخاتم صلى الله عليه و سلم. و أما سورة البقرة فقد بدأت بصفات المؤمنين و هم من فازوا بالجنة و نجوا من النار، صدقوا بما غاب عنهم من البعث و الجنة و النار، و أدوا الصلاة بحقوقها، و أنفقوا مما أعطاهم الله في طاعته، مع إيمانهم بالكتاب الأول و الكتاب الآخر. ثم الفئة الثانية و صفاتهم أنه قد طبع على قلوبهم الكفر فلا فائدة منهم لأنهم لا يسمعون و لا يعقلون. و أما الفئة الثالثة و هي أشد خطرا فهم المنافقون و هم فريقان: الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٨ فريق يعلن إيمانه مخادعا لله و للمؤمنين بخلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدينوية، و الفريق الآخر و هم أهل الكتاب من اليهود و النصارى، و كانوا يقولون اللهم انصرنا على كفار مكة بالنبي الخاتم المبعوث آخر الزمان، فلما جاءهم كذبوا خوفا على رياستهم و حسدا عليه و نفاق في عهودهم و مواعيقهم معه صلى الله عليه و سلم، و في إعجاز لا حدود له اشتملت آية واحدة على أباطيل أهل الكتاب و مشركي العرب: وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (البقرة: ١١٣). و هكذا كفر اليهود بعبسى - عليه السلام - و قالوا النصارى على دين باطل، و قال النصارى مثل ذلك و كفروا بموسى - عليه السلام -، و كلاهما كفر عن علم بالتوراة و الإنجيل، و قال مشركو العرب مثل ذلك القول بأن من وصفوه بالصادق الأمين ليس على شيء، و سوف يفصل الله سبحانه بينهم يوم القيامة بقضائه العادل، و لن يتحقق أبدا ما في خيالاتهم و أحلامهم و أمانيتهم، لأنه لن يدخل الجنة إلا من كان مستسلما و خاضعا لله، و مصدقا لرسوله صلى الله عليه و سلم و الذى طريقه هو الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه لأنه هو الصراط المستقيم. و قد جاء فى تفسير الصراط المستقيم أنه: المتابعة لله سبحانه و للرسول صلى الله عليه و سلم أو أنه كتاب الله القرآن الكريم أو أنه دين الإسلام الذى لا يقبل من العباد غيره، و كل هذه التفاسير متلازمة فمن أطاع الله سبحانه و تعالى فقد أطاع نبيه صلى الله عليه و سلم، و من اتبع الحق فقد اتبع الإسلام، و من آمن بالإسلام فقد رضى بالله و بالإسلام دينا و بسيدنا محمد صلى الله عليه و سلم نبيا و رسولا و بالقرآن كتابا و دستورا، فكلها أقوال صحيحة يصدق بعضها بعضا. و عن أبى ذر رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن المغضوب عليهم؟ فقال: «اليهود»، و من الضالين؟ قال: «النصارى». الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٩ و هذا لأنهم فسدت إرادتهم فعملوا الحق و عدلوا عنه، و هم هائمون لا يهتدون إلى الطريق المستقيم، ففقدوا العمل و العلم معا. و لهذا يدعو من أنعم الله عليهم: «آمين»، أى: «اللهم استجب لنا»، و من وافقت منهم تأمينه تأمين الملائكة فى الزمان، و الإجابة و الإخلاص، غفر الله له. و كما بدأت سورة الزهراء الكبرى بصفات المؤمنين، انتهت بدعائهم ليتناسق البدء مع الختام: رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (البقرة: ٢٨٦). و خلاصة القول أن دين الإسلام و الذى لن يقبل من أحد سواه و لا- ينجو إلا من سلكه و هو الصراط المستقيم، و من سلك غيره تشعبت عليه الطرق و تفرقت به السبل، قال تعالى: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (الأنعام: ١٥٣). و قد خط النبي صلى الله عليه و سلم خطا، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيما»، ثم خط خطوطا حوله، ثم قال: «هذه سبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» (١). و عليه فإن المسلم إن أراد السلامة، فعليه التمسك بالكتاب و السنة و السير بسيرهما و الوقوف عند حدودهما، فيصبح من المنعم عليهم الذين أضاف الله الصراط إليهم فى فاتحة الكتاب، و تلك أعظم نعمة على العبد و هى هدايته، تجذبه السبل المضلة، و كان ممن قال فهم الحق سبحانه: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (النساء: ٦٩)، و كان ممن توجهوا بالدعاء كما جاء فى الزهراء الصغرى: رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ

السُّوَّهَاتُ (آل عمران: ٨) (_____). (١) رواه أحمد و الحاكم و قال: صحيح و لم يخرجاه، و رواه النسائي و ابن مردويه. - انظر تفسير سورة الأنعام الآية (١٥٣) «عمدة التفاسير»، المجلد الأول (ص ٨٣٩). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ١٠

آل عمران و النساء [التقوى]

آل عمران و النساء [التقوى] و هما مدنيتان و ترتيبهما حسب المصحف (٣، ٤)، و حسب نزول الوحي (٨٩، ٩٢). و افتتاح سورة «النساء»، في غاية المناسبة لما ختمت به سورة «آل عمران»، فقد افتتحت الأولى بالأمر بالتقوى، و ختمت الثانية بنفس الأمر أيضا. و التقوى في جميع الأحوال: بعدا عن الشرك بالله، و عملا بطاعته، و رجاء برحمته. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس» (رواه الترمذي). و قد أخبر معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه ينادى مناد أين المتقون؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا- يحتجب الله منهم و لا- يستتر، و أنه لما سأل من المتقون؟ قال: «قوم اتقوا الشرك و أخلصوا لله العبادة، فيمرون إلى الجنة». و قد ختم الله سورة «آل عمران» بوصية جامعة لسعادة الدنيا و الآخرة، فقد تضمنت الصبر على مشاق الطاعات و الشدائد، و المغالبة للأعداء، و الرباط في سبيل الله، و الخوف منه سبحانه و تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صَابِرُوا وَ رَابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (آل عمران: ٢٠٠). و عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «أ لا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا و يرفع به الدرجات، إسباغ الوضوء على المكاره، و كثرة الخطا إلى المساجد، و انتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط» (رواه مسلم). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ١١ أما سورة «النساء» فقد بدأت بالخطاب للناس جميعا بالخوف منه سبحانه الذى أنشأهم من أصل واحد، و أنه مراقبهم في جميع أحوالهم و أعمالهم، كما في الحديث الشريف: «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (رواه البخاري)، و يذكر الله عباده أنهم من أب واحد و أم واحدة ليعطف بعضهم على بعض و ليصل كل منهم الرحم: يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَ بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَ نِسَاءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (النساء: ١). و من لطائف التفسير لأسباب قطيعة الرحم المتعددة، نجد أن أولها و أهمها ضعف التقوى، لأنه إذا ضعفت التقوى ورق الدين لم يبال المرء بقطع ما أمر الله به أن يوصل، و لم يطمع بأجر الصلوة، و لم يخش عاقبة القطيعة. و أما الذنب الذى ذكره القرآن، و كفى بهذا الذنب زاجرا- قوله تعالى:- فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ ۲۲ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ (محمد: ٢٢-٢٣)، و قول النبي صلى الله عليه و سلم: «لا يدخل الجنة قاطع الرحم» (رواه الشيخان). و من الثابت أن رسول الله صلى الله عليه و سلم خطب الناس بعد صلاة الظهر فتلا الآية الكريمة من أول سورة النساء، ثم قرأ: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (الحشر: ١٨). ثم حضهم على التقوى و الصدقة- رواه مسلم-. و فى أول خطبة له صلى الله عليه و سلم بالمدينة كانت عن التقوى و آثارها، و منها: «و أوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة، و أن الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ١٢ يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، و لا أفضل من ذلك بنصيحة، و لا أفضل من ذلك ذكرى، و إنه تقوى لمن عمل به على وجل و مخافة، و عون صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة، و من يصلح الذى بينه و بين الله من أمر السر و العلانية، لا ينوى بذلك إلا وجه الله، يكن له ذكر فى عاجل أمره، و ذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم» (البداية و النهاية لابن كثير). و فى خطبة ثانية بالمدينة بحث فيها على القرآن و التقوى، يقول: «أحبوا من أحب الله، أحبوا الله من كل قلوبكم، و لا- تملوا كلام الله و ذكره، و لا- تقس عنه قلوبكم، فإنه من يختار الله، و يصطفى فقد سماه خيره من الأعمال، و خيره من العباد، و الصالح من الحديث، و من كل ما أوتى الناس من الحلال و الحرام، فاعبدوا الله و لا تشركوا به شيئا، و اتقوا الله حق تقاته، و أصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، و تحابوا بروح الله بينكم، إن

الله يغضب أن ينكث عهده» (نفس المرجع السابق). و في خطبة الوداع بين صلى الله عليه و سلم بأن الفضل للتقوى، و قد جاء فيها: «ليس لعربي على عجمي فضل، و لا لأسود على أحمر فضل، و لا لأحمر على أسود فضل إلا بالتقوى، يا معشر قريش لا تجيئوا بالدنيا تحملونها على رقابكم، و تجيء الناس بالآخرة فإنني لا أغني عنكم شيئاً» (رواه الطبراني في الكبير). و في يوم فتح مكة طاف صلى الله عليه و سلم ثم حمد الله و أثنى عليه، و قال: «الحمد لله الذي أذهب عنكم عبية الجاهلية و تكبرها، يا أيها الناس إنما الناس رجلا ن: مؤمن تقى كريم على الله، و فاجر شقى هين على الله» (تفسير النسفي). أهل التقوى هم من سبقت لهم من الله الحسنى، و أزمهم كلمة التقوى، صدقت مجاهداتهم، و خلصت معاملاتهم، و صفت سرائرهم، تمسكوا بأصدق الحديث و أحسن الهدى. الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ١٣ يقول أحد الحكماء: نظرت إلى الناس فوجدت أكثرهم يتباهى بالمال و الحسب و الشرف و النسب و كلها لا- شيء، ثم نظرت إلى قوله تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (الحجرات: ١٣)، فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريماً. و من وصية لسيدنا على رضي الله عنه لولديه الحسن و الحسين: «لا شرف أعلى من الإسلام، و لا كرم أعز من التقوى، و لا شفيع أنجع من التوبة، و لا بأس أجمل من العافية». و من وصية جامعة لرسول الله صلى الله عليه و سلم للصحابي أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، جاء فيها: «أوصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله» (رواه ابن حبان و الحاكم). و يقول سبحانه في محكم كتابه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (آل عمران: ١٠٢). و معناه: أنه سبحانه يطاع فلا يعصى أبداً، و يشكر قبل النعمة و بعدها، و يذكر فلا ينس طرفه عين. حتى لا يشق على المؤمنين أنزل الله سبحانه: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتِطَعْتُمْ وَ اسْمِعُوا وَ أَطِيعُوا وَ أَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَ مَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (التغابن: ١٦). [تصوير] الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ١٤

المائدة و الأنعام [الإسلام اول النعم

المائدة و الأنعام [الإسلام اول النعم سورة المائدة «مدنية»، و سورة «الأنعام»، مكية و ترتيبها في المصحف (٥، ٦)، و أما حسب نزول الوحي (١١٢، ٥٥). يقول الشيخ الشعراوي: «مع أن سورة المائدة مدنية و سورة الأنعام مكية إلا أن السياق بين تذييل المائدة و افتتاح الأنعام فيه اتساق واضح، فالحق يقول في آخر المائدة: لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا فِيهِنَّ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (المائدة: ١٢٠)، و يقول سبحانه في أول الأنعام: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَ النُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (الأنعام: ١)، ف سبحانه و تعالى قدير و يملك كل الكون، و لم يأخذ الملك افتتاحاً أو ادعاء، و لكنه جل شأنه هو الذي خلق السموات و الأرض و هو الذي جعل الظلمات و النور». (من خواطر الإمام حول تفسير القرآن) و لقد بينت الآيتان أن السموات و الأرض من أعظم المخلوقات للناظرين، و نجد أن أول الأنعام فيها بيان لنعمه سبحانه كالمنطق و النبات و الرزق و غيرها، و أنه سبحانه هو الخالق للأشياء، المالك لها، المتصرف فيها، القادر عليها، فالجميع ملكه و تحت قهره و قدرته، و في مشيئته، فلا نظير له، و لا إله غيره، و لا رب سواه، و الحق سبحانه يطلب منا أن نعتبر بما في العالم المشهود من ظواهر، و أن له مطلق العلم بعالم الملك الظاهر، و عالم الملكوت الخفي، و قد عقب الآية بعد ذلك مباشرة باستثناء بعض العباد الجاحدين ممن كفروا و أشركوا، و جعلوا له سبحانه شريكاً. الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ١٥ و قال ابن عباس: نزلت سورة الأنعام ليلاً جملة واحدة، و حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح - من تفسير الإمام الرازي - و قد بدأت السورة بالحمد تعليماً للعباد أن يحمداوا الله لأنه المستحق لجميع المحامد و أنه المتفضل عليهم بكل النعم. بينما نجد أن آخر المائدة تخبر بأن الجميع ملكه و هو القادر على كل شيء تماماً كما بينت أول الأنعام. و قد جاء في تفسير القرطبي أن السورة بأكملها ليس فيها منسوخ و فيها ثمان عشرة فريضة، و قد جاء في مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: نزلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم سورة المائدة و هو راكب على راحلته فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها. و قيل أنها لما نزلت السورة سبح رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قال: «لقد شيع هذه السورة من

الملائكة ما سد الأفق»- المستدرك وفيه أنه صحيح على شرط مسلم-، و السورة فيها بيان اعوجاج أهل الكتاب و بعدهم عن الصراط المستقيم، و قولهم بهتاناً و زوراً أنهم أبناء الله- سبحانه و تعالى علواً كبيراً-، و فيها العديد من التشريع و التكليف و الأحكام و منها ما أحل من الطيبات و ما حرم من غيرها و التي أثبت العلم الحديث أن كل ما حرمه الإسلام ما هو إلا نعمة لهم، و فيها آية الوضوء و التيمم، و قد اعتبر العلماء أن التيمم من نعم الله على أمة الإسلام لعدم شعورها بالحرج و الضيق في حالة عدم وجود الماء بعد الطلب و التفتيش أو في حالة المرض و ما شابه ذلك، و قد عبر الصحابي أسيد بن حضير رضى الله عنه عن فرحة المؤمنين بذلك قائلاً: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، لقد بارك الله للناس فيكم، و ما أنتم إلا بركة لهم. الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ١٦ و هكذا نجد أن السورتين تشتركان في بيان نعم الله التي لا تحصى، و أن أولها نعمة الإسلام، ذلك الدين الذي يحبه الله، و بعث به أفضل رسله خاتماً للنبيين، و أنزل به أشرف كتبه ناسخاً لما قبله. و في سورة «المائدة» آية كمال الدين الحنيف، و في سورة «الأنعام» الأمر لمحمد صلى الله عليه و سلم أن يكون أول المسلمين. يقول سبحانه: قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ (الأنعام: ١٤)، و في آخرها: قُلْ إِنَّ صِيْلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣). و يقول تعالى في سورة «المائدة»، الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا (المائدة: ٣)، و من الآية بيان لكمال الدين بأحكامه و فرائضه، و دخول مكة آمين، و لهذا يذكرهم الله بأهم نعمه عليهم في موضع آخر من السورة يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْتَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (المائدة: ١١). لقد أكمل الله لهذه الأمة دينها، فلا يحتاجون إلى دين غيره، و لا إلى نبي غير نبيهم صلى الله عليه و سلم، و لهذا جعله الله خاتم الأنبياء و بعثه إلى الإنس و الجن، فلا حلال إلا ما أحله، و لا حرام إلا ما حرمه، و لا دين إلا ما شرعه، و كل شيء أخبر به فهو صدق و حق، يقول سبحانه: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (آل عمران: ٨٥)، و يقول القرآن في شأن الإسلام كدين: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (آل عمران: ١٩). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ١٧ و يقول في شأن كتاب الإسلام: قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (آل عمران: ٨٤)، و دين الإسلام هو الدين الخاتم الذي نسخ كل ما قبله، و لا دين بعده إلى يوم القيامة، يقول تعالى: وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (النساء: ١٢٥)، و ذلك لأن الإسلام دين الله للبشرية جمعاء، و هو أصول و مبادئ لكل زمان و مكان إلى يوم القيامة، يقول الرسول صلى الله عليه و سلم: «و الذي نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى و لا نصرانى ثم يموت و لم يؤمن بالذى أرسلت به إلا أدخله الله النار» (رواه مسلم و أحمد). و مع هذا يقرر الإسلام مبدأ هام و هو عدم الإكراه أو الظلم أو القهر أو نقص العهد و المواثيق ما دام الكافر لم يعلن حرباً على الإسلام، و ذلك لأنه دين السماحة و الرحمة و الألفة و التآلف، تقوم علاقته مع الآخرين على مبدأ لا إكراه فى الدين (البقرة: ٢٥٦)، و لكم دينكم و لى دين (الكافرون: ٦)، لأنه ينظر إلى الإنسان كمخلوق عملاً بالحديث الشريف «كلكم لآدم و آدم من تراب» «١». [تصوير]

حديث حسن غريب، و رواه أبو داود (٤٤٥٢). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ١٨

الأعراف و الأنفال [ذكر الله تعالى]

الأعراف و الأنفال [ذكر الله تعالى «الأعراف» مكية و «الأنفال» مدنية و ترتيبها حسب المصحف (٧، ٨)، و حسب نزول الوحي (٣٩، ٨٨)، و مناسبة الافتتاح لخاتمها ما قبلها في غاية التناسق، ففي الأولى يقول سبحانه: وَ أَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَ خِيفَةً وَ دُونَ

الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ٢٠٥ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (الأعراف: ٢٠٥-٢٠٦). وقد سميت بهذا الاسم لذكرها أصحاب الأعراف عند سور مضروب بين الجنة والنار حتى يقضى الله فيهم بعفوه وكرمه سبحانه وتعالى، وقد انتهت بالأمر بذكر الله سرا ومستحضرا عظمتة. ومتضرعا إليه وخائفا منه في الصباح والعشى وعدم الغفلة عند ذكره، فإن الملائكة الأطهار لا يتكبرون عن عبادته ويزهونه عما لا يليق به ولا يسجدون إلا له جل وعلا. وأما سورة «الأنفال» وقد سماها بعض الصحابة سورة «بدر»، فإنها تصف المؤمنين بالفزع عند ذكر اسم الله، استعظاما لشأنه، وتهيبا منه، وإذا تليت آياته عليهم ازداد تصديقهم ويقينهم، لأنهم لا يرجون غيره ولا يرهبون سواه. يقول سبحانه: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (الأنفال: ٢-٤). ومن لطائف التفسير للآيات أن المؤمن إذا هم بمعصية، حدث نفسه قائلا: اتق الله، فيشعر بالخوف. وقد استدلل بعض العلماء على زيادة الإيمان وتفاضله بها. الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ١٩ و كان السلف الصالح يضعها أمام عينيه فإن وجدها تنطبق على صفاته حمد الله على ما هو فيه من خير: الخوف والإيمان والتوكل والعبادة والإنفاق، أي ثلاث من أعمال القلب و ثنتين من أعمال الجوارح. و يرى أهل العلم أن تكفير السيئات تكون باجتناب الكبائر و بفعل الحسنات مع التوبة النصوح و ذكر الله، قال تعالى: وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ فَمَا يُضَرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥ أُولَٰئِكَ جِزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنَعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (آل عمران: ١٣٥-١٣٦). و إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم و هو المصطفى المختار، كان يستغفر سبعين مرة في اليوم و قد غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر، فما أحوجنا إلى ذكر الله و الاستغفار لننال الرفعة و الزلفى و تكفير الذنوب و هذا هو خير الزاد؛ و عن فوائد الذكر يقول ابن القيم - رحمه الله - أن له مائة فائدة منها: أنه يطرد الشيطان، و أنه يرضى الرحمن - عز و جل - و يزيل الهم و الغم عن القلب، و يقوى البدن، و أنه يورث ذكر الله تعالى للعبد فاذكروني أذكركم (البقرة: ١٥٢)، و كما قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، و من ذكرني في ملأ - ذكرته في ملأ خير منه» «١»، و أنه يورث جلاء القلب من صدئه فكل شيء له صدأ، و صدأ القلوب الغفلة و الهوى و جلاؤه التوبة و الاستغفار و ذكر الله، و أنه يحط الخطايا و يذهبها فإنه من أعظم الحسنات، و الحسنات يذهب السيئات، و أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة و النميمية و الكذب و الفحش

(١) رواه البخارى. الإعجاز القرآني

في فواتح السور و خواتمها، ص: ٢٠ و الباطل، فإن العبد لا بد أن يتكلم و ذكر الله يبعده عن المحرمات، و أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة، فإن كل مجلس لا يذكر العبد فيه الله تعالى يكون عليه حسرة يوم القيامة. و من قطوف السنة المطهرة عن فضل الذكر: عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى يوم القيامة: أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام» (رواه الترمذى). و عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة، و غشيتهم الرحمة، و نزلت عليهم السكينة، و ذكرهم الله فيمن عنده» (رواه الشيخان). و هكذا يكون الله مع عباده المؤمنين المتقين بالإعانة و التوفيق و التسديد و الكتابة و الرعاية و الهداية، كلما ازداد العبد ذكرا لله كلما ازداد توفيقا منه سبحانه فيكون كما قال تعالى: «فبى يسمع و بى يبصر و بى يبسط و بى يمشى» «١»، و تلك هى المعية الخاصة لله سبحانه و تعالى تقدست أسماؤه، جل و علا فوق عرشه فى السماء، و أمره و علمه فى السماء و الأرض و تلك هى المعية العامة و التى فسرتها آية النجوى و التى بدأت بالعلم و ختمت بالعلم، لنعلم أنه سبحانه عليم بأحوالنا غير مختلط بنا تعالى عن ذلك علوا كبيرا: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حَمِيسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (المجادلة: ٧).

(١) رواه البخاري بلفظ: «... كنت

سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به، و رجله التي يمشى بها ..». الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٢١ و تفسير هُوَ مَعَهُمْ، أى بعلمه المحيط بكل شىء، و أيضا تفسرها صلاة الله سبحانه على عباده الذاكرين، كما جاء فى الآيات: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ٤١ وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أُصِيلًا ٤٢ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلَائِكَتُهُ يُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (الأحزاب: ٤١-٤٣)، و تفسرها كذلك آية ذكر الله لعباده الذاكرين: فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِي وَ لَا تَكْفُرُونَ (البقرة: ١٥٢). و هكذا كلما ذكرنا الله باللسان و القلب و العمل، نتذكر أنه قريب منا كما نطق به كتابه، و أنه سبحانه فوق السموات بذاته مستو على عرشه استواء يليق بجلاله، بلا تشبيه و لا حلول و لا تعطيل و لا تكييف و لا تمثيل لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (الأنعام: ١٠٣)، أى أننا لا نراه إلا يوم القيامة، و هذا خاص للمؤمنين لقوله تعالى: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ٢٢ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (القيامة: ٢٢-٢٣)، و كما جاء فى الصحيحين: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» (١)، و هذا لله يكون إلا لأهل الذكر الذين لا يندمون على شىء تركوه فى الدنيا إلا على ساعة مرت عليهم بدون ذكر الله. يقول تبارك و تعالى: وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَ الذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا (الأحزاب: ٣٥). و سبب النزول أن أم سلمة رضى الله عنها قالت: يا رسول الله يذكر الرجال و لا يذكر، فأنزل الله الآية: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمَاتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْقَانِتِينَ وَ الْقَانِتَاتِ وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقَاتِ وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِرَاتِ وَ الْخَاشِعِينَ وَ الْخَاشِعَاتِ وَ الْمُتَضَمِّنِينَ وَ الْمُتَضَمِّنَاتِ (١) متفق عليه. الإعجاز القرآني فى

فواتح السور و خواتمها، ص: ٢٢ وَ الْمُتَضَمِّنَاتِ وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِمَاتِ وَ الْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحَافِظَاتِ وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَ الذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا و قد روى سبب النزول الإمام أحمد و النسائي و ابن جرير، و قد استدلل الفقهاء بأن الإيمان أخص من الإسلام، و أما القنوت فهو الطاعة فى سكون و هو ناشئ عنهما، ثم الصدق و هو علامة على الإيمان، ثم الصبر و الخشوع و الصدقة و الصوم و العفاف، و يعد ذلك أفضل درجة عند الله و هى «ذكر الله عزَّ و جلَّ»، و التى قيل عنها أنها لا حدود لها فهى فى كل الأحوال، بينما كل عبادة لها حد تنتهى إليه إما بالزمان أو المكان أو الاستطاعة ثم تستمر ثانية، و لأن الصلاة عبر عنها القرآن فَاشِعْمُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ (الجمعة: ٩)، فهى أيضا لا حد لها. و صلاة الله سبحانه للذاكرين هى الرحمة فى الدنيا و الآخرة: أما فى الدنيا فيخرجهم من ظلمات الجهل و الضلالة إلى نور الإيمان، و أما رحمته فى الآخرة فإنه سبحانه يأمر ملائكته يتلقونهم بالبشارة و هى الفوز بالجنة و النجاة من النار. و الذاكرون هم أهل السبق: كان النبى صلى الله عليه و سلم يسير فى طريق مكة، فمر على جبل يقال له جمدان، فقال: «سيروا هذا جمدان سبق المفردون»، قالوا: و ما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيرا و الذاكرات» (رواه مسلم). [تصوير] الإعجاز القرآني فى فواتح السور و خواتمها، ص: ٢٣

التوبة و يونس [صفاته صلى الله عليه و سلم

التوبة و يونس [صفاته صلى الله عليه و سلم «التوبة» مدنية، «يونس» مكية، و ترتيبها حسب المصحف (٩، ١٠)، و حسب نزول الوحي (١١٣، ٥١). و الخاتمة و البداية اشتركتا فى توقيف النبى صلى الله عليه و سلم، ففى التوبة قوله تعالى: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ١٢٨ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (التوبة: ١٣٨-١٣٩)، و فيهما صفة من صفاته صلى الله عليه و سلم بأنه حريص على هداية الناس أجمعين و أنه يريد الخير لهم فى الدارين، و سورة «التوبة» هى آخر ما نزل من السور كما ذكر البخاري، و جاء فى «الكشاف» أن لها أربعة عشر اسما منها سورة «العذاب»، و يرى جمهور العلماء أن الآيتين نزلت على سبيل تعداد النعم على العرب إذ جاءهم باللغة التى يفهمونها و شرفوا بها على مر الأيام، و يقول ابن عباس: «ما من قبيلة إلا ولدت النبى صلى الله عليه و سلم»، فكأنه قال القرآن لهم: «يا معشر العرب لقد جاءكم

رسول من ولد إسماعيل»، وهذا إجابة لدعوة أبيكم إبراهيم عليه السلام: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (البقرة: ١٢٩)، وكما قال جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه: «إن الله بعث فينا رسولا منا نعرف نسبه و صفته ومدخله ومخرجه و صدقه وأمانته». ومن أجمل التفاسير: أن الله سبحانه لم يجمع لأحد من النبيين اسمين من أسمائه إلا له صلى الله عليه وسلم وهما بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُفٌ رَحِيمٌ. الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٢٤ وقد جاء في مسند أحمد أنه قال صلى الله عليه وسلم: «بعثت الحنفية السمحة»، وفي الصحيح يقول صلى الله عليه وسلم: «إن هذا الدين يسر و شريعته كلها سهلة سمحة كاملة يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه». وقد جاء في التفسير الوسيط: وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (الأنبياء: ١٠٧). وما أَرْسَلْنَاكَ: أى و ما بعثناك يا محمد بما بعثناك به من الهدى و دين الحق؛ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، فإنك توضح لهم به صحيح العقيدة، و تعلمهم الأحكام التي بها يحكمون، و إليها يحتكمون، و فيها مناط السعادة في الدارين، فما أَرْسَلْنَاكَ بما يعنتهم أو يشق عليهم أو بما هو فوق طاقتهم. و هذا ما يوضحه قوله تعالى (الآية: ١٣٨ من التوبة)، و فيه تعريض بما فوت الكافر على نفسه من هذه الرحمة، حين أعرض و نأى بجانبه، فخرس الدنيا و الآخرة، و ذلك هو الخسران المبين (الوسيط، لجنة من العلماء الأفاضل تحت إشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر). و عند ما يذكر الله سبحانه عباده إن هم تولوا عما جاءت به الشريعة المطهرة الكاملة الشاملة، فإنه كاف عبده صلى الله عليه وسلم، و هذا يتناسب تماما مع بداية سورة «يونس»: أ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ (يونس: ٢)، و هي تذكر تعجب الكفار من إرسال الرسل من البشر مثلهم، و قولهم أن الله أعظم من أن يكون رسوله إليهم بشرا مثلهم. و مع أنه صلى الله عليه وسلم بشر إلا أنه خير البشر أجمعين، فقد حزن و بكى و تضرع و تألم مثل باقى البشر، و كان الأولى أن يتخذوا من حياته أسوة و نبأ، و لقد كانت مراحل حياته صلى الله عليه وسلم دروسا هامة و مبادئ ثابتة لم تتغير في إعراض الدنيا الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٢٥ و إقبالها، و قوة الأعداء و ضعفهم، و الحرب و السلم، و القلة و الكثرة، و الهزيمة و النصر، و مع هذا كله كان الثبات على المبدأ و العقيدة، و التواضع فى القوة، و الصبر فى الضعف. كان صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة للمؤمنين كما قال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (الأحزاب: ٢١)، و هذه الآية أصل كبير فى التأسى به صلى الله عليه وسلم فى أقواله و أفعاله و أحواله، و لهذا أمرهم القرآن بالتأسى بيوم الأحزاب فى شجاعته و ثباته، و فى صبره و مرابطته و مجاهدته و انتظاره الفرج من رب العزة جل و علا. و عند ما يتخذ المؤمنون الأسوة الحسنة، فذلك بالافتداء بأخلاقه و الالتزام بسيرته، و يقينا بأن أصدق الكلام القرآن الكريم: «إنى تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعصمتم به كتاب الله» (١)، و تمسكا بوصيته: «عليكم بسنتى و سنن الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، تمسكوا بها و عضوا عليها بالنواجذ» (٢)، و حبا لأهل بيته و قرابته و أزواجه أمهات المؤمنين من قال فيهم سبحانه: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (الأحزاب: ٣٣)، و حبا و موالاة لأصحابه من وصفهم رب العزة فى محكم كتابه: وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ (الفتح: ٢٩). و ممسكين عما شجر بينهم فهم كانوا مجتهدين، من أصاب فله أجران و من أخطأ فله أجر. و أما أهم الدروس التي يجب على المؤمن أن ينتدبه إليها، فإنه

(١) رواه البخارى و مسلم. (٢) رواه الترمذى و غيره. الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٢٦ صلى الله عليه وسلم مع كل الفضائل، إلا أنه حذر أمته تواضعا: «لا ترفعوني فوق قدرى فتقولوا فى ما قالت النصارى فى المسيح، فإن الله اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى رسولا» (١)، و كان أحب الأسماء إليه صلى الله عليه وسلم «عبد الله» كما نعتته القرآن: وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا (الجن: ١٩)، يقول الشيخ أحمد عبد القادر المغربى من علماء سوريا البارزين كلاما جميلا عن الآية: و لما أنهى أولئك نفر من الجن حديثهم أحبا أن يحقوه بذكر ما علموه من أحواله صلى الله عليه وسلم، و قيامه بدعوة الناس إلى التوحيد، و ما كان من تكذيب الناس له، و

صبره على أذاهم، و قد سموه صلى الله عليه و سلم باسم «عبد الله»، تنبيها لقومهم إلى أنه مع ما هو عليه صلى الله عليه و سلم رفعة القدر، و نباهة الذكر، و استجماع الكمالات في ذاته الشريفة، ليس من شأنه أن يوسم بغير اسم العبودية». (من تفسير جزء تبارك). [تصوير () _____] (١) رواه أحمد (١٢٠٩٣).

الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٢٧

يونس و هود [رحمته صلى الله عليه و سلم

يونس و هود [رحمته صلى الله عليه و سلم السورتان مكيتان و ترتيبهما حسب المصحف (١٠، ١١)، حسب نزول الوحي (٥١، ٥٢). و اشتركت خاتمة «يونس»، و ابتداء «هود»، في أنه صلى الله عليه و سلم أرسله الله رحمة للعالمين، بشيرا بالثواب لمن آمن برسالته، و نذيرا بالعذاب لمن خالف و عصاه. ففي الأولى: فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (يونس: ١٠٨)، و معناه: أن ثواب هدايته لنفسه و وبال ضلاله عليه وحده، و في السورة الثانية: إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ، أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (هود: ٢)، و معناه: أن الثواب و العقاب منه سبحانه و لا أملك لكم منه شيئا أي أن السورتين اشتركتا في المكان و تتابع الترتيب في المصحف و جو النزول للوحي. و قد جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه و سلم صعد الصفا فدعا بطون قريش الأقرب ثم الأقرب فاجتمعوا فقال: «يا معشر قريش أ رأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تصبحكم أ لستم مصدقي؟» فقالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». و من خصوصيته صلى الله عليه و سلم أن من يخالفه يستوجب النار، و هذا للناس كافة و إلى يوم القيامة، يقول تعالى: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا (النساء: ١١٥)، أي أن من اختار الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٢٨ طريقا غير طريقه صلى الله عليه و سلم حرمت عليه الجنة مهما جاء من عمل، و مع هذا كان أيضا رحمة لمن خالفه، و ذلك لأن رحمته للكافر بتأخير العذاب. و طاعته صلى الله عليه و سلم ليست قولا فحسب، فإن من يقول أنه يحب رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا يعمل بما أمر به، و انتهى عنه، كان أبعد الناس عن محبته و طاعته. إن من أحب الله كان عليه أن يحب خير خلقه صلى الله عليه و سلم، يقول تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آل عمران: ٣١). إن بعثته صلى الله عليه و سلم ما هي إلا إحسان من الله للعالمين إلى نور الإيمان، و ليخلصهم من الشرك و الرذائل و الفسوق التي تفتشت فيهم. و هذا ما اشتملت عليه السورتين: ابتداء و انتهاء، و كان الختام في سورة «هود» لا عبادة إلا لله وحده: وَاللَّهُ غَيَّبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (هود: ١٢٣). و قد جاء في صحيح البخاري العديد من الأحاديث التي تركز على العذاب، منها ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «إنما مثلى و مثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش و هذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل الرجل يزعهن و يغلبه فيقتحم فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار و أنتم تقتحمون فيها» (رواه البخاري في صحيحه). و هذا الحديث فيه من التحذير من الوقوع في الأمور الشاقة، و رغم ذلك ففيه من الرحمة و الرأفة و الحرص على نجاة الأمة، و ذلك لأن الناس يميلون إلى الحظ العاجل دون الحظ الآجل، و هذا ما يفسر ما يقع فيه البعض: فمجالسهم تشتمل على كل شيء ما عدا القرآن و ذكر الله، حياتهم سخرية و استهزاء و لهو الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٢٩ و لعب و طعام و شراب و نوم، صم لا يسمعون إلا لهو الحديث و باطله، بكم لا ينطقون إلا بالفحش البذيء، و عمى لا يرون إلا الشهوات، قلوبهم منكوسة و ضمائرهم ميتة و بصائرهم مطموسة، موتى و هم أحياء، مساكنهم الطرقات ناسين بيوت الله .. و إن أرادوا النجاة مما هم فيه فليتأملوا الحديث الشريف الذي رواه البخاري في ذم الشهوات و إن مالت إليها النفوس تماما كما يسعى الفراش إلى الضوء فيلقى حتفه. و هذا الحديث يعتبر من جوامع الكلم التي أوتيتها صلى الله عليه و سلم و ذلك لبدع بلاغته، ففيه من صور البيان: التشبيه في «مثل و مثل الناس كمثل رجل»، و فيه الإثارة و جذب

الانتباه. و «مثلي» بفتح الميم على سبيل التشبيه لإرادة التقريب و التفهيم. التضمين من (الآية- ١٧ من سورة البقرة)، و (الحديث الشريف عن حمى الله محارم). المبالغة في «استوقد»، و هي أبلغ من الفعل الماضى- أوقد-. ذكر الجزء للدلالة على الكل بأنواعه المختلفة في «جعل الفراش و هذه الدواب». التقريب في «فأنا آخذ» روى باسم الفاعل لأنه أوقع في النفس. الاستعارة في «بحجزكم»، و ذلك مثل حالة منعه الأمة عن الهلاك بحاله رجل آخذ بحجزه صاحبه الذي كان يهوى في مهوأة سحيقة. الأدب النبوى «و أنتم»، بدلا من الضمير «هم» لعدم مواجهتهم بذلك. التشبيه التمثيلي في «و أنتم تقتحمون فيها» شبه تساقط أهل المعاصى في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا. الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٣٠ و هكذا يعطى الحديث الإشارة تلو الإشارة، حتى يرفع المرء الغشاوة عن عينيه و عقله. و مع هذا كان صلى الله عليه و سلم ينثر البشرى كعطر الزهر على أصحابه تجديدا لنشاطهم و حفزا لهممهم، يقول لأصحابه: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك فعله، و النار مثل ذلك، (رواه البخارى)، بمعنى أن الطاعة و المعصية قد تكون في أيسر الأشياء. ثم يعود محذرا و مشفقا على أمته قائلا صلى الله عليه و سلم: «حجبت النار بالشهوات، و حجبت الجنة بالمكاره» (رواه البخارى). و قد ورد إيضاح لهذا الحديث أخرجه أبو داود و الترمذى و النسائى و ابن حبان و الحاكم يقول صلى الله عليه و سلم: «لما خلق الله الجنة و النار أرسل جبريل إلى الجنة فقال: انظر إليها، قال: فرجع إليه فقال: و عزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحفت بالمكاره، فقال: ارجع إليها، فرجع فقال: و عزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد، قال: اذهب إلى النار فانظر إليها، فرجع فقال: و عزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات فقال: ارجع إليها، فرجع فقال: و عزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد» (فتح البارى باب الرقاق). و هكذا يوضح هذا الحديث ما قبله، و فيه من صناعة البديع: مقابلة المكاره و هى مجاهد النفس بالشهوات التى تميل إليها، و الطاعة الموصلة إلى الجنة بالمعصية المقربة إلى النار. و هذا يدل دلالة واضحة على أنه صلى الله عليه و سلم الهادى البشير كان أشد حرصا على أمانته تبليغ الدعوة، و وصولها سهلة ميسرة إلى قلوب الناس، و لم يكن معتتا بل كان معلما ميسرا عليه أفضل الصلاة و السلام. الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٣١

يوسف و الرعد [فضائل القرآن الكريم

يوسف و الرعد [فضائل القرآن الكريم يوسف «مكية»، و الرعد «مدنية»، و ترتيبها حسب المصحف الشريف (١٢، ١٣)، و حسب نزول الوحي (٥٣، ٩٦). و السياق فى السورتين يظهر جليا واضحا، و الإعجاز القرآني فى تذييل كل سورة و مناسبتة الدقيقه مع بداية ما بعدها، و هما تدوران حول فضائل القرآن الكريم. و سورة «يوسف» لا يسمعها محزون إلا استراح لها (حاشية الصاوى على الجلالين). و الآية الأخيرة منها تبين أن هذا القرآن ليس أخبارا تروى أو أحاديث تختلق، و لكنه مصدقا لما سبقه من الكتب السماوية، و فيه تبيان كل ما يحتاج إليه الناس من أحكام الحلال و الحرام، و الشرائع و الأحكام، و هدايته و رحمته لمن يعملون بأوامره، يقول تعالى: لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (يوسف: ١١١). و أما سورة «الرعد» فقد سميت بهذا الاسم لذكرها الظاهرة الكونية العجيبة و التى جمعت بين النقيضين: الماء و النار، و الإحياء و الإفناء. و تقرر الآية أن القرآن هو الحق لا شك فيه و لكن أهل مكة لا يؤمنون به، يقول تعالى: المر تلك آيات الكتاب و الذى أنزل إليك من ربك الحق و لكن أكثر الناس لا يؤمنون (الرعد: ١). و القرآن الكريم يصدق الصحيح من الكتب المنزلة، و ينفى ما وقع فيها من تحريف و تبديل و تغيير، و يحكم عليها بالنسخ، و أنه فيه من التحليل و التحريم، الإعجاز القرآني فى فواتح السور و خواتمها، ص: ٣٢ و الطاعات و الواجبات، و المحرمات و المكروهات، أى أنه لم يترك كبيرة و لا صغيرة فيهما نفع للعباد إلا و بينها كما جاء فى القرآن: ما فرطنا فى الكتاب من شئ (الأنعام: ٣٨). و القرآن الكريم هو المخرج من الفتن كما فى روايه على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «ستكون فتن»، قلت: فى المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم و خبر ما بعدكم و حكم ما بينكم، و هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، و من ابتغى

الهدى في غيره أضله الله، و هو حبل الله المتين، و هو الذكر الحكيم، و هو الصراط المستقيم، و هو الذى لا تزيج به الأهواء، و لا تلتبس به الألسنة، و لا يشبع منه العلماء، و لا تنقض عجابته، من قال به صدق، و من عمل به أجر، و من حكم به عدل، و من دعا هدى إلى صراط مستقيم» (١). و قد جاء فى كتاب «لمعة الاعتقاد» لابن قدامة المقدسى شارحا لهذا الحديث الشريف: إنه كتاب الله المبين أى الموضح عما تضمنه من أحكام و أخبار، إنه حبل الله المتين أى العهد القوى الذى جعله الله سببا للوصول إليه و الفوز بكرامته، إنه حق لا يمكن أن يأتيه الباطل من أى جهة لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيلاً من حكيم حميد (فصلت: ٤٢)، إنه برئ مما وصفه به المكذبون من قولهم إنه شعر و ما علمناه الشعر و ما يتبغى له إن هو إلا ذكر و قرآن مبین (يس: ٦٩)، و قول بعضهم: إن هذا إلا سحر يؤثر ٢٤ إن هذا إلا قول البشر، فقال الله متوعدا هذا القائل: سأصليه سقر (المدثر: ٢٤-٢٥)، إنه معجز لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله (١) رواه الترمذى، و فيه

ضعف، و صححه البعض موقوفا على على بن أبى طالب رضى الله عنه. الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٣٣ و إن عاونه قل لئن اجتمعت الأنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً (الإسراء: ٨٨)، (من باب أوصاف القرآن). و قد كثر القول قديما و حديثا حول السر فى إعجاز القرآن، و على الرغم من كل ما كتب فإنه سوف يظل سرا معجزا إلى يوم القيامة. و ممن تكلم فى هذا الموضوع من المحدثين الشيخ الشعراوى فقال: «الإعجاز القرآني جلى فى أنه يستخدم الألفاظ التى تعبر بدقة عما يريد، و لا تصادم فى مفهومها مع أى عصر، يقول الله تبارك و تعالى: و الأرض مددناها (ق: ٧)، و ذلك ينطلق لما تراه العين منذ الأزل، بأن الأرض مبسوطه، و لكنه فى نفس الوقت أكبر دليل على كروية الأرض». (من كتاب نظرات فى القرآن). و أما الدكتور دراز فى كتابه عن البلاغة القرآنية يستعرض اجتهادات بعض العلماء عن أساليب القرآن الكثيرة التى تثير ملكات النفس العقلية و الوجدانية عند القراءة أو الاستماع، و يلفت النظر إلى الآيات الكريمة: أ فلا ينظرون إلى اللب كيف خلقت ١٧ و إلى السماء كيف رُفعت ١٨ و إلى الجبال كيف نُصبت ١٩ و إلى الأرض كيف سُطحت (الغاشية: ١٧-٢٠). و يبين أنها لوحة فنية فى غاية الجمال الروحي التى تطير به النفوس إلى آفاق الصفاء، و ما فيها من تعانق بين الدعوة إلى التفكير إلى ما خلق الله، و إشباع الحاسة الفنية التى تستجيب للجمال و تهيم به كما هو شأن القرآن الكريم دائما. أما الأقدمون فيتعرض الدكتور على العمارى لعدد من آراء العلماء القائلين بالإعجاز البياني، و هو يميل إلى الأخذ بما كان يعبر عنه القدماء «الحس الأدبي»، الإعجاز القرآني فى فواتح السور و خواتمها، ص: ٣٤ و يرى أنه أجدى على تدبر القرآن فى تثبيت إيمانه بما فى القرآن من إعجاز يؤكد إلى حد اليقين أنه من عند الله سبحانه و تعالى، و يسوق الدكتور العمارى عددا من الأمثلة: الرومانى و الذى عاش فى بغداد فى القرن الرابع الهجرى و الذى يرى فى كتابه «النكت فى إعجاز القرآن»، أنه معجز من سبع جهات، إحداها البلاغة و هى إيصال المعنى إلى القلب فى أحسن صورة من اللفظ، و البلاغة عنده على عشرة أقسام: الإيجاز و التشبيه و الاستعارة و التلاؤم و الفواصل و التجانس و التصريف و التضمين و المبالغة و حسن البيان. و أما الخطابي من علماء الأفغان فى القرن الرابع الهجرى فى كتابه «بيان إعجاز القرآن»، و الذى يرى أنه صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ، فى أحسن نظوم التأليف، مضمنا أصح المعانى (من كتاب حول إعجاز القرآن). و هكذا نرى رأى عالمين من بلدين عريقين: الأولى فيها بزغت أولى الحضارات القديمة و هى الحضارة السومرية منذ حوالى (٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد)، و الثانية قدمت عددا من العلماء علموا العالم. و لقد اهتم المسلمون بكتاب الله: حفظا و تلاوة و تجويدا، بل و وضعوا العديد من علوم القرآن مثل علم التجويد، و آداب التلاوة، و القراءات، و المحكم، و المتشابه، و الناسخ، و المنسوخ، و أسباب النزول، و إعراب القرآن، و أما التفاسير فلا حصر لها. و قد اعتبر العلماء أن علوم التلاوة من تجويد و آداب فرض على كل مسلم، و هذا ليدرك بعض الأمور الهامة و هى: ألا يمسه إلا طاهر، و أن يستقبل القبلة، الإعجاز القرآني فى فواتح السور و خواتمها، ص: ٣٥ و أن لا يتركه يوما دون النظر فيه، و ألا يتأوله عند ما يعرض له شىء من أمر الدنيا، و ألا يقرأه فى الأسواق و لا فى مواطن اللغو و مجمع السفهاء، و عند ما ينتهى من ختمه يفتحه حتى لا يكون مهجورا ثم يدعو بدعاء ختم القرآن و الذى أوله: «اللهم ارحمنى بالقرآن و اجعله لى إماما و

نورا و هدى و رحمة، اللهم ذكرني منه ما نسيت، و علمني منه ما جهلت، و ارزقني تلاوته آناء الليل و أطراف النهار، و اجعله لى حجة يا رب العالمين». و عند ما ينتهى من الدعاء يجمع أهله و يدعو لهم و للمسلمين بالخير و يصلى على محمد النبى الصادق الأمين و على آله و أصحابه الأخيار. [تصوير] الإعجاز القرآني فى فواتح السور و خواتمها، ص: ٣٦

الإسراء و الكهف [الحمد لله]

الإسراء و الكهف [الحمد لله السورتان مكيتان و ترتيبهما حسب المصحف (١٧، ١٨)، و أما حسب نزول الوحي (٥٠، ٦٩)، و آخر الإسراء و بداية «الكهف» فى تناسق تام، فقد تضمنت أفضل ما يقوله العبد لربه: «الحمد لله». فأية العز اشتملت الأمر بالحمد لله و تقدير وحدانيته و تنزيهه عن الشريك و الولد و عن صفات النقص سبحانه و تعالى: و قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا و لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ و لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ و كَبَّرَهُ تَكْبِيرًا (الإسراء: ١١١)، و قد سميت السورة بالمعجزة الباهرة تكريما من المولى سبحانه لعبده صلى الله عليه و سلم. بينما بدأت السورة بعدها و التى سميت باسم «المعجزة الربانية» للفتية الذين خرجوا فرارا بدينهم: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ و لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ١ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ و يُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ٢ مَا كَثُرَ فِيهِ أَيْدَاءُ (الكهف: ١-٣)، و معناه: أى أنزل الكتاب قيما و لم يجعل له عوجا مستقيما لا اختلاف فيه، و لا تفاوت و لا اعوجاج و لا ميل عن الحق (تفسير الطبرى). و سورة «الإسراء» من العقاق الأولى و تسمى «بنى إسرائيل»، و قد نزلت الآية الأخيرة منها عند ما قال اليهود و النصارى: اتخذوا الله ولدا، و قالت العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه و ما ملكك، و قال الصائبون و المجوس: لو لا أولياء الله لذل- تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- فأنزل سبحانه الآية، و كان النبى صلى الله عليه و سلم يعلمها لأهله صغيركم و كبيرهم. الإعجاز القرآني فى فواتح السور و خواتمها، ص: ٣٧ و فى القرآن الكريم خمس سور مبتدئة بالحمد: فاتحة الكتاب فى الحمد العام، «و الأنعام» فى الحمد على النعم المادية، «و الكهف» فى الحمد على النعم الروحية، و سورتي «سبأ و فاطر» فى الحمد على الوسائط من النعم الروحية و المادية. «و الحمد لله» للذات الإلهية لأنه المستحق للحمد لا- شريك له، و بها يظل الله محمودا و العبد حامدا. «الحمد لله» لنعمه التى لا تعد و لا تحصى و أعظمها كتابه العزيز على رسوله الكريم صلى الله عليه و سلم حيث جعله كتاب مستقيما يهدى إلى صراط مستقيم. «الحمد لله» رجاء و طمعا فى جنته، و خوفا و خشية من عقابه، و ثناء عليه بأسمائه الحسنى و صفاته العلى، و إدراكا حسب طاقتنا بصفات المحمود، و كما كانت بدءا تكون ختاماً و آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ (يونس: ١٠). «الحمد لله» أوجبها العلماء عند مصارع الطغاة، فقال الزمخشري فى قوله تعالى: فَقَطَّعْ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا و الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (الأنعام: ٤٥)، و هذا إيذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة و أنه من أجل النعم و أجرل القسم. (الكشاف). و قد تعددت صيغة الحمد لله فى أدعية الرسول صلى الله عليه و سلم كما جاء فى رواية ابن السنى فى كتاب «عمل اليوم و الليلة»، و خاصة عند الاستيقاظ و عند الفراغ من الطعام و الشراب و عند التهجد و الأرق و الرؤيا و ختام الصلاة و فى دعاء الحاجة و العاطس و غيرها. و أما عن فضائل «الحمد لله» كما جاءت فى السنة المطهرة، منها: عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم حدثهم: «أن عبدا من عباد الله قال: يا رب الإعجاز القرآني فى فواتح السور و خواتمها، ص: ٣٨ لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك و عظيم سلطانك، فعضلت الملكين - أعتيها - فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا إلى السماء و قالوا: يا ربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها؟ قال الله- عزّ و جلّ - و هو أعلم بما قاله عبده- ما ذا قال عبدى؟ قالوا: يا رب إنه قال: يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك و عظيم سلطانك، فقال الله عزّ و جلّ: اكتبها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها» (رواه الإمام أحمد و ابن ماجه). و عن عبد الله بن غنم البياضى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد و لك الشكر، فقد أدى شكر يومه، و من قال مثل ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليلته» (رواه أبو داود و النسائى و ابن حبان). و لذلك جاء فى الأثر

عن شكر الأنبياء، أن داود- عليه السلام- قال: يا رب كيف أشكرك نعمته منك؟ قال: الآن شكرتني حين قلت إن الشكر نعمته مني، و أما أيوب عليه السلام فقد هان عليه المال و الولد و الابتلاء في الجسد و ابتعاد الناس عنه، و مع كل هذا خَرَّ لَهِ سَاجِدًا شَكَارًا لِعَظَمِ لِهِ الثَّوَابِ، قَائِلًا: عَرِيَانَا خَرَجْتَ مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَ هَكَذَا أَعُودُ إِلَى الْأَرْضِ. وَ جَاءَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَ لَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ، وَ بِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَ إِلَيْكَ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ». وَ قَدْ جَاءَ فِي فَتْحِ الْبَارِي- بَابِ الْأَدَبِ:- أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشَّعْبِ»، وَ صَحَّحَهُ ابْنُ حِبَانَ مِنْ طَرِيقِ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَفَعَهُ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَطَسَ، فَأَلْهَمَهُ رَبُّهُ أَنْ يَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ- عَزَّ وَ جَلَّ:- يَرْحَمُكَ اللَّهُ». الْإِعْجَازُ الْقُرْآنِيُّ فِي فَوَاتِحِ السُّورِ وَ خَوَاتِمِهَا، ص: ٣٩

الكهف و مريم [أفضل الدعاء]

الكهف و مريم [أفضل الدعاء] السورتان مكيتان و ترتيبهما حسب المصحف (١٨، ١٩)، و حسب نزول الوحي (٦٩، ٤٤)، و سورة «الكهف» تشمل لثلاث قصص من روائع قصص القرآن: أصحاب الكهف لتثبيت العقيدة، و قصة موسى مع الخضر لبيان التواضع في سبيل العلم، و قصة ذى القرنين و الذى مكن الله تعالى بالتقوى و العدل بأن يملك مشارق الأرض و مغاربها، و فى آخر السورة قوله تعالى: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (الكهف: ١١٠). و معناه: أنه قل يا محمد إنما أنا بشر مثلكم أكرمنى الله سبحانه بالوحي، و أمرنى أن أخبركم أنه- جلا و علا- واحد أحد لا شريك له، و من كان يرجو ثوابه و يخاف عقابه، فليخلص له العبادة، و لا يرأى بعمله و لا يبتغى بما يعمل غير وجه الله، فإن دعا فلا- يكون دعاؤه إلا- لله، و إن توسل فيكون توسله بالله، و إن استعان و توكل فيكون بالله وحده لأنه أغنى الشركاء عن الشرك. أما أول «مريم» و التى سميت باسم البتول العذراء و التى لم يذكر القرآن اسم غيرها من النساء، و للمعجزة الباهرة فى خلق إنسان بلا أب، ثم نطقه فى المههد. و تبدأ السورة بدعاء سيدنا زكريا- عليه السلام- و هو من أنبياء بنى إسرائيل، و قد أخفى دعاءه لأنه ذلك أحب لله و أبعد عن الرياء، فقد قيل: أنه قام فى جوف الليل يهتف بربه فى صوت خفى و أصحابه نيام و ذلك أقرب إلى الإعجاز القرآني فى فواتح السور و خواتمها، ص: ٤٠ الإخلاص، يقول سبحانه: كهيعص ١ ذُكِرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا ٢ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَ كَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥ يَرِيئِي وَ يَرِيئُ مَنِ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (مريم: ١- ٦). قال البيضاوى: هذا توسل بما سلف من الاستجابة، و أنه تعالى عوده بالإجابة و أطمعه فيها، و من حق الكريم أن لا يخيب من أطمعه (تفسير البيضاوى). و من المعلوم أنه أراد أن يرثه فى العلم و النبوة و ليس المال أو عرض من أعراض الدنيا الفانية. و عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «تعرض أعمال بنى آدم بين يدي الله- عزَّ و جلَّ- يوم القيامة فى مصحف مختمه، فيقول الله: ألقوا هذا و أقبوا هذا، فتقول الملائكة: يا رب و الله ما رأينا منه إلا خيرا، فيقول: إن عمله كان لغير وجهي و لا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهي» (الدر المنثور). و قد بينت السنة المطهرة فضل الدعاء، يقول الرسول لله: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء» (رواه الترمذى و ابن حبان). و يقول صلى الله عليه و سلم: «الدعاء سلاح المؤمن، و عماد الدين، و نور السموات و الأرض» (أخرجه الحاكم فى المستدرک، و قال: صحيح الإسناد). و قد بينت السنة المطهرة أن الدعاء يرد القضاء و أن صلة الرحم تزيد فى العمر، و كل ذلك بمشيئة الله سبحانه، و قد بينت أيضا آداب الدعاء و منه التكرار، فإن الله يحب الملحين فى الدعاء، و قد كان صلى الله عليه و سلم يكرر الدعاء ثلاثا، و بينت أن أفضل الدعاء ما كان فى الرخاء، و ما كان فى ذلة و مسكنة، يقول صلى الله عليه و سلم: «إن الله حى كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين» (رواه الشيخان). الإعجاز القرآني فى فواتح السور و خواتمها، ص: ٤١ و أما القرآن الكريم فقد ذكر دعاء الأنبياء من آدم- عليه السلام- و الذى دعا: قال رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَ إِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا

لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (الأعراف: ٢٣). و إلى خاتم الأنبياء صلى الله عليه و سلم و الذي كان من دعائه ما جاء في سورة «البقرة»: وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ٢٠١ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (البقرة: ٢١٠-٢٠٢). و قد بين القرآن أنه لو لا-الدعاء، ما اهتم الله بالعباد، و ما كانوا يستحقون منه شيئاً: قُلْ مَا يَعْجُبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (الفرقان: ٧٧). و قد بينت السنة المطهرة أن أفضل الدعاء ما كان القرآن أولاً ثم من السنة و بأسماء الله الحسنی و صفاته، بعيداً عن السجع و الذي ليس فيه إلا الاهتمام بالنغمة و الموسيقى اللفظية، و خالياً من التكلف الذي يبعده عن المضمون و الروح، يقول صلى الله عليه و سلم: «إياكم و السجع في دعاء بحسب أحدكم أن يقول: اللهم إني أسألك الجنة و ما قرب إليها من قول أو عمل، و أعوذ بك من النار و ما قرب إليه من قول أو عمل» (رواه البخاري). و قد بين صلى الله عليه و سلم أن الله سبحانه يقبل التوبة من عبده التائب ما دام قد عزم على عدم العود إلى الذنب ثانية، عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «كل شيء يتكلم به ابن آدم مكتوب عليه فإذا أخطأ خطيئة أو أذنب ذنباً فأحب أن يتوب إلى الله فليمد يديه إلى الله عزّ و جلّ ثم يقول: اللهم إني أتوب إليك منها لا- أرجع إليها أبداً، فإنه يغفر له ما لم يرجع في عمله ذلك» (أخرجه الحاكم في المستدرک). و قد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أفضل الدعاء أن تسأل ربك العفو و العافية في الدين و الدنيا و الآخرة، فإنك إن أعطيتهما في الدنيا ثم في الآخرة فقد أفلحت» (رواه أبو داود و الترمذی). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٤٢ و روى الترمذی و أبو داود عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم سمع رجلاً يقول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد»، فقال: «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى، و إذا تدعى أجاب»، و في رواية: «سألت بالاسم الأعظم». و روى الإمام أحمد و الترمذی عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم: «دعوة ذي النون إذا دعى و هو في بطن الحوت- لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين- فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له». و عن أنس أنه صلى الله عليه و سلم قال لفاطمة: «ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به: أن تقولي إذا أصبحت، و إذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، و لا تكلني إلى نفس طرفة عين أبداً» (صححه المنذرى، و حسنه ابن حجر و الألباني). البر و الدعاء و الذكر و تلاوة القرآن .. أربعة أشياء هي منشور الولايه، و قوت القلوب، و رياض الجنة، كيف بمن أيقن بالجنة و النار و تأتي عليه ساعة، لا يطيع الله فيها بدعاء أو ذكر أو صلاة أو تلاوة أو إحسان؟! و قد قيل أن أفضل الدعاء ما تقدمه البر و الذكر و القرآن، مع المسكنة و الاعتراف بالذنب و طلب المغفرة و الرحمة. [تصوير] الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٤٣

الحج و المؤمنون [صفات المؤمنين]

الحج و المؤمنون [صفات المؤمنين الحج «مدنية»، و المؤمنون «مكية»، و ترتيبها حسب المصحف (٢٢، ٢٣)، و أما حسب النزول (١٠٣، ٧٤). و الخطاب في آخر سورة «الحج» للمؤمنين بما فيه الفلاح لهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (الحج: ٧٧)، ثم يذكر بعدها بعضاً من صفاتهم في أداء العبادة و عدم الاعتداء على الأعراض و العلاقات البناءة. و تتجلى بلاغة القرآن في الآية الأخيرة من سورة «الحج»، أنه ذكر الخاص ثم العام ثم الأعم، فقد ذكر الصلاة و خص فيها الركوع و السجود لأنهما أشرف أركانها، و العام عبادة الله وحده، و أما الأعم فهو فعل أنواع الخيرات التي تقرب إلى الله سبحانه. و صفات المؤمنين ذكرها القرآن في العديد من السور، و أكثرها ما جاء في السورة التي تحمل اسمهم و ما يستحقون من ميراث الفردوس الأعلى. أنهم يعلمون أن الخشوع هو روح الصلاة، فإن فقدته كانت لا-روح لها و لا صلة لها ب حياة النعيم: الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (المؤمنون: ٢)، و أنهم أبعده ما يكونوا عن كل ما لا-فائدة منه قولاً- و عملاً- و الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (المؤمنون: ٣). و هم متمسكون بالعفاف عما لا يحل لهم: وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ

فإنهم غير ملومين ٦ فمن ابغى وراء ذلك فأولئك هم العادون (المؤمنون: ٥-٧). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٤٤ و هم متمسكون بالأمانة و العهد: و الذين هم لأماناتهم و عهدهم راعون (المؤمنون: ٨). و أما صفاتهم في السور الأخرى أنهم يذكرون الله في كل وقت، و مع كل طاعة في أوقات الشدة و الرخاء: الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكرون في خلق السماوات و الأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سيبحانك فقنا عذاب النار (آل عمران: ١٩١)، و أن إخوانهم أقرب إليهم في المحبة، و أنهم يأمرن بما أقره الشرع فرضاً و سنه و ينكرون ما كان محرماً أو مكروهاً، و يعلمون أن طاعة الله و رسوله هي النعمة التي يحظى بها الطائع للفوز برحمته سبحانه: و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعضهم و يهتدون عن المنكر و يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و يطيبون الله و رسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم (التوبة: ٧١). و هم أهل العفو و الصلح و الصفاء: و الكاظمين الغيظ و العافين عن الناس و الله يحب المحسنين (آل عمران: ١٣٤). و قد وصفهم الله سبحانه بوجود صفة الشورى بينهم: و الذين استجابوا لربهم و أقاموا الصلاة و أمرهم شورى بينهم و مما رزقناهم ينفقون (الشورى: ٣٨). و من أجمل الصفات التي وصفهم بها القرآن تعميرهم للمساجد: إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله و اليوم الآخر و أقام الصلاة و أتى الزكاة و لم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (التوبة: ١٨). و أيضاً قيامهم في جوف الليل لصلاة القيام، حتى أنه سبحانه يتعجب لابتعادهم عن فراشهم رغبة في ثوبه و خوفاً من عقابه: تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً و طمعاً و مما رزقناهم ينفقون (السجدة: ١٦). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٤٥ و من الآية نجد أن القرآن دائماً ما يقرن صفة المؤمنين بالإنفاق في سبيل الله، و كأنها جزء لا يتجزأ من إيمانه و من تصديقه بالله و كتابه: يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا يتبع فيه ولا خلة ولا شفاعة و الكافرون هم الظالمون (البقرة: ٢٥٤). و هكذا لا نجد إخباراً في القرآن عن المؤمنين إلا و عنصر الإنفاق العام موجود فيه، بل و إذا جاءت: إنما المؤمنون، للتأكيد فنجد بعدها بذل المال، يقول تعالى: إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون (الحجرات: ١٥). أي أن صدق الإيمان يكون مساوياً للجهاد في سبيل الله بالمال و النفس. و قد بين الحديث الشريف عظمة المؤمن و رسوخ إيمانه عند ما ينفق المال حبا لله، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد و تتكفاً فأرساها بالجبال فاستقرت، فتعجب الملائكة من شدة الجبال فقالت: يا ربنا هل خلقت خلقاً أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد، قالوا: فهل خلق أشد من الحديد؟ قال: نعم النار، قالوا: فهل خلقت خلقاً أشد من النار، قال: نعم الريح، قالوا: فهل خلقت خلقاً أشد من الريح؟ قال: نعم ابن آدم إذا تصدق صدقةً يمينه فأخفاها عن شماله» (١). و المؤمن الصادق في إيمانه كلما ازداد قرباً من الله، ازداد خوفه، و كلما ازداد خوفه أحسن و كأنه مقعد في طاعته، فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: _____:

(١) رواه الترمذى، و قال: حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، (٣٢٩١). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٤٦ لو أننى سمعت منادياً يا أهل المحشر كلكم في الجنة إلا رجلاً واحداً فظننت أنى هذا الرجل. و يقول أحد الصالحين: دائماً من شدة الخوف أتمثل نفسى في النار أعالج أغلالها و سعيرها، و آكل من زقومها، و أشرب من غسلينها، فأتمنى أن أعود إلى الدنيا لأعمل عملاً أنجو به من هذا العذاب، و أرجو الله سبحانه أن أنجو بعفوه و كرمه لا بعملى، و دائماً ما أدعو ربي سبحانه و تعالى: ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتنا و ما للظالمين من أنصار ١٩٢ ربنا إننا سيمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا ربنا فأغفر لنا ذنوبنا و كفرنا عنا سيئاتنا و توفنا مع الأبرار ١٩٣ ربنا و آتنا ما وعدتنا على رسيلك و لا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد (آل عمران: ١٩١-١٩٣). و المؤمن بعد كل هذا يعلم جيداً أن من أَرْضَى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، و أنه من أَرْضَى الناس بسخط الله، و كله إلى الناس يتلاعبون به، و هو يحرص على قبول العمل أشد من حرصه على العمل نفسه، و لهذا يتذكر دائماً قوله سبحانه: و من أحسن قولاً ممن دعا إلى الله و عمل صالحاً و قال إني من المسلمين (فصلت: ٣٣). و هكذا دعوة المؤمن: كلمة طيبة، و تيسير و تبشير، و رفق و صبر، و هو كيس فطن، قوى بالإيمان، عزيز بالإسلام. [تصوير] الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها،

النور و الفرقان [علم الله سبحانه و تعالى

النور و الفرقان [علم الله سبحانه و تعالى النور «مدنية»، و الفرقان «مكية»، و ترتيبها حسب المصحف (٢٤، ٢٥)، و حسب نزول الوحي (١٠٢-١٠٣). و تشترك الخاتمة مع الافتتاح في علم الله سبحانه بلا حدود. يقول الحق في محكم كتابه: **أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَ يَوْمَ يُزْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** (النور: ٦٤)، و هي بيان من أنه سبحانه مالك و خالق ما في السموات و الأرض، و يعلم السرائر و ما عليها من الإيمان أو النفاق، و الإخلاص و الرياء، و أنه سبحانه سيخبرهم بأعمالهم خيرا يوم القيامة، لأنه جل و علا- لا- يخفى عليه خافية من أعمالهم. و أما أول الفرقان فيقول سبحانه: **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ١ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا (النور: ١-٢)، و هما بيان لعلمه المطلق الذي لا حدود له، و الذي فوق ما يتصور العقل البشري المحدود، و الذي لا يستطيع أن يحيط بقطرة من علم الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا أي هيأه لما يصلح له و يليق به. و يقو الرازي في تفسير الآية الثانية: وصف سبحانه ذاته بأربع أنواع من صفات الكبرياء: أنه المالك للسموات و الأرض، و أنه المعبود أبدا، و أنه المنفرد بالكبرياء و الألوهية، و أنه الخالق لجميع الأشياء مع الحكمة و التدبير. (التفسير الكبير). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٤٨ و اسمه سبحانه «العليم»، بيان لعلمه القديم منذ الأزل لا يزيد و لا ينقص و تكتسب منه الأشياء و لا يكتسب منها شيئا، و هو عالم بالعباد ما هم عاملون به في سرهم و جهرهم. يقول تعالى: **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** (طه: ١١٠). و أما في السنة المطهرة: «اللهم إني أستخيرك بعلمك و أستقدرك بقدرتك، و أسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر و لا أقدر، و تعلم و لا أعلم، و أنت علام الغيوب» (من حديث الاستخارة، رواه البخاري). و أسماء الله الحسنى تنقسم من جهة التضمن أربعة أقسام هي: الاسم العلم المتضمن لجميع معانيها و هو «الله»، و لا يأتي تابعا غيره من الأسماء، و ما يتضمن صفة من الصفات مثل السميع العليم البصير القدير، و ما يتضمن صفة فعل كالخالق الرازق الباري المصور، و ما يتضمن تنزهه تعالى و تقدسه عن جميع النقائص كالقدوس السلام. و علم الله لا حدود له، و كما جاء في الأثر أن سيدنا موسى- عليه السلام- رأى طائرا يرفع بمنقاره قطرة من ماء المحيط، فقال له الخضر- عليه السلام- إن علم الكائنات جميعها منذ خلق الله آدم- عليه السلام- إلى يوم القيامة أقل من هذه القطرة. و مهما صنع البشر ما كان في الماضي ضربا من المستحيل فهو كما أخبر القرآن بأن علمهم محدود مع التقدم المذهل، و ذلك لأنهم لو اجتمعوا لخلقوا جناح ذبابة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. و جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم: «قال الله- عز و جل- و من أظلم من ذهب يخلق كخلقى، فليخلقوا ذرة، فليخلقوا شعيرة» (رواه الشيخان). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٤٩ بل و إن البشر جميعا و مع قوتهم الجبارة عاجزون عن مقاومة أضعف خلقه لو سلبتهم شيئا، يقول تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذبابًا وَ لَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْنَاهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَ الْمَطْلُوبِ** ٧٣ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (الحج: ٧٣-٧٤). و عند ما يظن البشر أنهم قادرون و مالكون لكل شيء، و تترين الأرض بعلمهم المحدود، عند ذلك تقوم الساعة: **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَ الْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَ أَزْيَبَتْ وَ ظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهَا قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْن بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** (يونس: ٢٤). و الإيمان بالقدر على أربع مراتب: أولها الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء و الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات و الأرض، و أنه تعالى قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، و علم أرزاقهم و آجالهم و أقوالهم و أعمالهم و جميع تحركاتهم و سكناتهم و أسرارهم و علانيتهم، و من هو منهم من أهل النار، و أما الثانية فهي الإيمان باللوح المحفوظ، و الثالثة الإيمان بالمشيئة الإلهية، و الرابعة الإيمان بأنه الخالق و لا خالق

غيره ولا رب سواه. وكل ما يسند إليه سبحانه من قدرة وعلم هو قديم قائم بذاته أزلاً، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون، سبحانه وتعالى العليم القائل في محكم التنزيل: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (يس: ٨٢). ومن الآيات العديدة في القرآن والتي تتحدث عن علم الله الذي لا حدود له، قوله تعالى: وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ الْإِعْجَازَ الْقُرْآنِي فِي فَوَاتِحِ السُّورِ وَ خَوَاتِمِهَا، ص: ٥٠ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَضِغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (يونس: ٦١). يقول ابن كثير في تفسير الآية "يخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم: أنه يعلم جميع أحواله و أحوال أمته و جميع الخلائق في كل ساعة و أوان و لحظة و أنه لا يعزب عن علمه و بصره مثقال ذرة من حقارتها و صغرها في السموات و لا في الأرض و لا أصغر منها و لا أكبر إلا في كتاب مبين كقوله: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَشِيقُ مِنْ رِزْقِهِ إِلَّا يَعْلمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (الأنعام: ٥٩)، فأخبر تعالى أنه يعلم حركة الأشجار و غيرها من الجمادات و كذلك الدواب السارحة في قوله: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ (الأنعام: ٣٨)، الآية، و قال تعالى: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا (هود: ٦) الآية، و إذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء فكيف علمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة كما قال تعالى: وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٢١٧ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ (الشعراء: ٢١٧-٢١٩)، ولهذا قال تعالى: وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ (يونس: ٦١)، أى إذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم رءون سامعون ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل - عليه السلام - عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (تفسير القرآن العظيم - ٢، ٥، ٥، ٥). [تصوير] الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٥١

النمل و القصص [موسى عليه السلام مع فرعون

النمل و القصص [موسى عليه السلام مع فرعون هما مكيتان و ترتيبهما حسب المصحف (٢٧، ٢٨)، و حسب النزول (٤٨، ٤٩)، و سورة «القصص»، تتفق في منهجها و هدفها مع سورة «النمل»، فهي تكمل و تفصل ما أجمل فيها، و تتفق مع جو النزول أيضاً. وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَّرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (النمل: ٩٣)، و يقول بعض المفسرين في معناها: إن الله سبحانه لا يعذب طاغية إلا بعد أن يبين له الحجج و البراهين، و أكثر هؤلاء الطغاة ممن جاء ذكرهم في القرآن «فرعون» و الذى سردت آيات عديدة قصته و ما فيها من رفض لرسالة الله، حتى أنه ضرب به المثل في الطغيان و الجبروت و الظلم، و لم يتركه سبحانه دون عقاب ليكون عبرة و عظة و اعتبار. و أما سورة «القصص» فتبدأ: طسم ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُمِ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (القصص: ١-٤). و المعنى: نقرأ عليك من الأخبار الهامة من الحق الذى لا يأتىه الباطل، و الصدق الذى لا ريب فيه، إن فرعون استكبر و تجبر، و جاوز الحد في الطغيان في الأرض، و جعل أهلها فرقا و أصنافا في استخدامه و طاعته، يستعبد و يستذل فريقا منهم هم بنو إسرائيل فيسومهم سوء العذاب، و يقتل الذكور و يترك الإناث لخدمته، و قد ادعى الربوبية و أمعن في القتل و إذلال العباد، و من بلاغة القرآن الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٥٢ قوله تعالى: عَلَا فِي الْأَرْضِ (القصص: ٤)، و كأن فرعون مهما ارتفع فهو في الأرض مكانه الطبيعي لكل البشر، و هذا هو الدرس الهام الذى يجب أن يتعلمه كل من آمن، ألا يقنط من رحمة الله مهما تجمعت الأهوال من حوله. و القصة معروفة و قد جاءت بالتفصيل في تفاسير كثيرة كابن كثير و الشوكاني و البيضاوى و الآلوسى و النسفى و الطبرى و غيرهم، و لذلك سوف نستخلص المواقف التى عرضها القرآن، و كيف تكون الغلبة دائما للحق في النهاية. و قد صور القرآن عبر سورة و آياته قصة هذا الطاغية في أسلوب قصصى رائع يجمع بين القصة و الموعظة و العبرة، و تتنوع في صياغتها بين الإسهاب و الإيجاز، و أول سورة بترتيب المصحف الشريف تضمنت الخطاب لبنى إسرائيل في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم

لتكذيبهم عيسى - عليه السلام - و الذي يبشر بالنبى الخاتم صلى الله عليه و سلم، و هذا الخطاب متجدد لا ينتهى لكل أهل الكتاب و لكل الناس أجمعين إلى يوم القيامة. أما سورة «الأعراف» فقد بينت دعوة موسى لفرعون ليقبل عبودية الله، و ما كان معه من آيات واضحة على أنه نبى مرسل: فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ١٠٧ وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (الأعراف: ١٠٧-١٠٨). فالأولى و لأن الثعبان كان رمزا لقوتهم و عقيدتهم فقد انهزم أمام الرمز الإلهى الحق، و أما الثانية و لأنهم يعبدون الشمس فقد غلبت نور يد موسى على شعاع عبادتهم. و نجد فى سورة «يونس»، تركيز على نهاية فرعون و قومه، و على الرغم من استعجالهم لقضاء الله فقد أمهلهم أربعين عاما لعلمهم يتوبوا، و فى المشهد الأخير يقول القرآن: فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتُنَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (يونس: ٩٢). الإعجاز القرآنى فى فواتح السور و خواتمها، ص: ٥٣ و بالقرب من أبى زنيمه عين ماء تسمى «حمام فرعون»، و يقال أنها وجدت عندها جثة فرعون و التى ترقد حاليا بالمتحف المصرى بالقاهرة، و ذلك ليتعظ كل من شاهد جثته طافية أو شاهد موميأوه ملفوفة بالعصائب و قد فيها ملحا متجمدا كما يؤكد عدد من علماء الآثار. و فى سورة «هود» تصوير لمشهد فى غاية الإعجاز لفرعون و هو يسير أما قومه كما كان فى الدنيا إلى المصير المحتوم: يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَ بَشَسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ (هود: ٩٨). و فى سورة «الإسراء» تركيز على الآيات التسع التى جاء بها موسى و هى: العصا و الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم و الطمس و السنين و نقص الثمرات (تفسير الجلالين). و أما (تفسير ابن كثير) فقد اعتبر السنين و نقص الثمرات واحدة و التاسعة إبطال سحر السحرة، و هذا ما اختاره من القدماء الحسن البصرى، و من المحدثين أبو الأعلى المودودى (١). يقول تعالى: وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَيَّلْنَا بِرِيحِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (الإسراء: ١٠١). و فى سورة «طه»، تفصيل لاختياره للرسالة و نجاته من القتل على يد فرعون بإلقائه فى اليم و مواجهته للسحرة و سجودهم لله سبحانه، و يقال أنهم لما سجدوا رأوا الجنة و قد رفعت لهم: إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيُعْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَ مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَ اللَّهُ خَيْرٌ وَ أَبْقَى (طه: ٧٣). (١) و البعض الآخر

عد انغلاق البحر هى التاسعة. الإعجاز القرآنى فى فواتح السور و خواتمها، ص: ٥٤ و هكذا أحدثت قوة الإيمان انقلابا كبيرا فى أخلاقهم و سلوكهم حتى أنهم استخفوا بتهديد فرعون. و أما سورة «المؤمنون»، فقد ذكرت عدة مشاهد مقتضبة فى نظم واحد تبين تعجب الأمم السابقة لأن يكون النبى المرسل بشرا مثلهم و لا- يكون ملكا من الملائكة، يقول القرآن ذلك عن قوم نوح إلى قوم موسى و الذين قالوا: فَقَالُوا أُنزِمْنَا مِنْ لِبَشَرَتَيْنِ مِثْلِنَا وَ قَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ٤٧ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (المؤمنون: ٤٧-٤٨). و أما سورة «الشعراء»، فقد بينت أن موسى - عليه السلام - فر هاربا من جريمة قتل، و عاد إلى نفس الملك الذى يبحث رجاله عنه ليحاكم عن تهمته، و هذا الملك كان يحكم أقوى دولة فى العالم حينئذ، و مع كل هذا انتهى الأمر بهزيمة فرعون و قومه، يقول تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (الشعراء: ٦٧. ٦٨). و فى سورة «النمل»، تأكيد لأمرين هامين عن الأنبياء عموما و هما: البشرية و العصمة، يقول تعالى: إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسَيْنًا بِعَيْدٍ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (النمل: ١١). و أما سورة «الزخرف»، ففيها عبارة إعجازية ضمنت بين ثناياها موضوعا هاما من علاقة الحاكم بالمحكوم و كيف أن الناس على دين ملوكهم، ففرعون استخف عقول قومه لأنهم كانوا أصلا فاسقين، و لذلك أسلموا أنفسهم له و رضوا بذلك فى ذلة و مسكنه، و كان من نتيجة انقيادهم و خضوعهم أنهم معه فى نار جهنم. يقول تعالى: فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (الزخرف: ٥٤). الإعجاز القرآنى فى فواتح السور و خواتمها، ص: ٥٥ تلك العلاقة التى كتب فيها العديد من المفكرين أمثال البلاذرى فى (أنساب الأشراف)، و الماوردى فى (الأحكام السلطانية)، و الإمام الغزالي فى (الاقتصاد فى الاعتقاد)، و ابن تيمية فى (السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى و الرعية)، و التوحيدى فى (مثالب الوزيرين). و ابن خلدون فى مقدمته، و كلها دراسات تحتمل الصواب و الخطأ، و لكنها أبدا لا تصل إلى المفهوم الذى بينه الصديق رضى الله عنه و الذى تعلم فى مدرسة محمد صلى الله عليه و سلم: «إن أفواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه، و إن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق، أيها الناس إنما أنا متبع و لست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينونى،

و إن أنا زغت فقوموني». [تصوير] الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٥٦

الروم و لقمان [الامثال في القرآن

الروم و لقمان [الامثال في القرآن السورتان مكيتان و ترتيبهما حسب المصحف (٣٠، ٣١)، و حسب نزول الوحي (٨٤، ٥٧)، يقول سبحانه و تعالى في خاتمة سورة «الروم». وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْتَلُونَ ٥٨ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٥٩ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (الروم: ٥٨، ٥٩). و في بداية سورة «لقمان»: الم ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (لقمان: ١-٣)، و سوف نجد أن الختام و البداية في غاية التناسب، فالأمثلة في القرآن للتنبية ليكون لها الأثر الحسن في النفوس، و مع هذا سنجد الناس قسمين: مؤمن مصدق يفهم القصد الذي ترمي إليه و هم من كان القرآن هدى و رحمة لهم، و كافر مكذب لا يفهم إلى المعنى المقصود لأن الله ختم على قلوبهم. و قد وضحت الآيات في سورة «إبراهيم»، الكلمة التي يحملها كلا من الفريقين: كلمة التوحيد الثابتة في الأرض و يصعد ثوابها إلى السماء، و كلمة الكفر التي لا ثبات لها و لا بركة فيها: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضْمِلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ٢٤ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (إبراهيم: ٢٤-٢٦). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٥٧ و قد نزلت الآية من سورة «البقرة» ردا على اليهود و هم على رأس الفريق الثاني من أصحاب الكلمة الخبيثة: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (البقرة: ٢٦). و ذلك لأن اليهود تعجبوا من أن القرآن يضرب الأمثال بالذباب و البعوض و النمل و العنكبوت و النحل و غيرها من الكائنات التي تتجلى فيها قدرة الله سبحانه، و شتان بين موقف المؤمن الراسخ من الحق و موقف أمثالهم و قد ابتعدوا عن الهداية. و قد ضرب الله المثل لعدم تدبر الفريق الثاني بالبهائم التي تسمع و لكنها لا تفهم: وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (البقرة: ١٧). و هؤلاء هم الذين جاء ذكرهم في أكثر من موضع في القرآن و قد وصفهم بأنهم كالأنعام بل أضل، لا همة لهم سوى بطونهم و فروجهم، لا يسمعون الحق سماع قبول، خرس عن الخير فلا يقولونه، و عمى عن نور الهدى فلا يرونه، و آخرتهم جهنم دار مقام و مصير، يقول تعالى: أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (الفرقان: ٤٤). و في سورة «البقرة» مثل لمن ينفق في سبيل الله، و من ينفق رياء و سمعه، الأول يضاعف له الثواب، و الثاني عمله كحجر أملس لا شيء عليه، و أما من عمل بالطاعات ثم وسوس له الشيطان بالمعاصي فهو الذي يحرق عمله و هو أحوج ما يكون له في الآخرة. الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٥٨ يقول سبحانه: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبِيلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (البقرة: ٢٦١). و في سورة «الرعد» مثلا- لما ينفع الناس و هو الحق، و مثلا- بما لا ينفعهم و هو الباطل: فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَ أَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (الرعد: ١٧). و في سورة «النحل» مثل للكافر و المؤمن، الأول أبكم لا يفهم ثقيل لا- يأتي بخير، و أما المؤمن فهو نافع للناس حيث يأمر به و هو على طريق مستقيم واضح: وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَ هُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْمَانًا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَ مَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ هُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (النحل: ٧٦). و في نفس السورة يضرب الله المثل لأهل مكة و كان الرزق يأتيهم واسعاً، و لما كذبوا النبي صلى الله عليه و سلم أذاقهم الله الجوع، و ذلك بسبب القحط الذي أصابهم سبع سنين و الخوف من سراياه صلى الله عليه و سلم: وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَوْمٍ كَانَتْ آمْنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (النحل: ١١٢). و في سورة «النور» يضرب الله الأمثال للناس تقريبا لأفهامهم، فيكون نور الله هداية لهم إلى نور الإيمان، تماما كما في سورة «محمد»، و

ليبان حال الكفار و قد حبط عملهم و حال المؤمنين و قد غفر الله ذنوبهم، فوجد في السورة الأولى أعمال الكفار كالسراب لا تنفعه بشيء، بينما عمل المؤمن يجزيه الله عليه بأحسن منه و يزيدهم من فضله، و أما السورة الثانية فتبين عمل الكفار و قد اتبعوا الشيطان فلا جزاء لهم إلا- في الدنيا، و أما عمل المؤمن فقد تقبله الله منهم و تجاوز عن صغائر ذنوبهم باستغفارهم. الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٥٩ و من أروع الأمثلة في القرآن و التي يجب أن يتدبرها الإنسان و هو الذي ميزه الله بالعقل و الإحساس و التمييز: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُصَرِّبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (الحشر: ٢١). و كمال بدأ القرآن بتقسيم الناس إلى كافر و مؤمن، فقد انتهى بأن ضرب مثلا لكل منهما، فمن الأول: و اهله و التي كانت تقول عن زوجها أنه مجنون، و واعله التي كانت تدل القوم على أضياف زوجها، و فرعون بطغيانه و ظلمه. و من الثاني: نوح و لوط عليهما السلام و هما من عباد الله الصالحين، و مريم الصديقة، و آسية التي رأت بيتها في الجنة. يقول تعالى: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ١٠ وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ١١ وَ مَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَ صَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَ كُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَوَاتِلِ (التحریم: ١٠-١٢). و هكذا اشتملت الأمثال في القرآن على كل أوجه البلاغة كما جاء في القرآن: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقْشَعْرُجًا مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (الزمر: ٢٣). أى أنه يشبه بعضه بعضا في النظم و الفصاحة و التصريف و البديع و المعاني، و ثنى فيه الوعد و الوعيد، و الإنكار و التعجب، و الترغيب و الترهيب، و الأحكام و التشريع، و العبر و المواعظ، و كل هذا في وحدة متكاملة مترابطة في غاية الإعجاز كما بين القرآن: وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (الزمر: ٢٧). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٦٠

لقمان و السجدة [مفاتيح الغيب الخمس]

لقمان و السجدة [مفاتيح الغيب الخمس السورتان مكيتان و ترتيبهما حسب المصحف (٣١، ٣٢)، و حسب نزول الوحي (٥٧، ٧٥)، و اشتركت البداية و الخاتمة في أمر واحد و هو «الغيب». و قد وضحتها سورة «لقمان» في خمس تسمى مفاتيح الغيب: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (لقمان: ٣٤). و أما سورة «السجدة»، فقد بينت بدايتها بعض الأمور الغيبية و زادت عليها ما حضر عن الخلق، و منها خلق السموات و الأرض في ستة أيام، و استوائه على العرش، و تدبيره سبحانه و تعالى الأمر من السماء إلى الأرض: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ٥ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (السجدة: ٤-٦). و قد ورد في السنة المطهرة أن «مفاتيح الغيب الخمس»، منها ما لا يعلمه إلا سبحانه و تعالى، و استأثر بها علمه فلا يعلمها نبي مرسل أو ملك مقرب أو أحد من خلقه و هما: علم الساعة، و الموت في أرض من البلاد أو غيرها، و منها ما الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٦١ يعلمه أحد من خلقه بأمره سبحانه «١» و هي: نزول الغيث و ما في الأرحام و ما تكسب النفس في دنياها و آخرتها. و قد روى البخاري في كتاب «الإيمان»، عن أبي هريرة رضى الله عنه، و روى مسلم في «صحيحه»، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان بارزا للناس إذ أتاه رجل يمشى فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و لقائه، و تؤمن بالبعث الآخر»، قال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: «الإسلام أن تعبد الله و لا تشرك به شيئا، و تقيم الصلاة، و تؤتي الزكاة المفروضة، و تصوم رمضان»، قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم

تكن تراه فإنه يراكم»، قال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفأة العراء رءوس الناس، فذاك من خمس لا يعلمها إلا الله»، ثم تلا الآية من آخر لقمان. ثم انصرف الرجل، فقال: «ردوه علي»، فأخذوا ليردوه، فلم يروا شيئاً، فقال: «هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم». و عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا (٢).

(_____ ١) والكلام في هذه الخمس (مفاتيح الغيب) يرد كل معاند خاسثاً حسيراً، ومهما بلغ وبالغ أهل العلوم قاطبة فلن يتعدوا قدرهم؛ فقد حجب الله هذه الغيبات الخمس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أوتى نبيكم مفاتيح كل شيء غير خمس، ثم تلا هذه الآية إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ. رواه أحمد وصححه الشيخ أحمد شاكر. «عمدة التفاسير - المجلد الثاني - ص ١٥). (٢) يقول العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدى فى (تيسير الكريم الرحمن - ص ٦٠١): «... و من حكمته التامة أن أخفى علم هذه الخمسة (مفاتيح الغيب) عن العباد؛ لأين فى ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك. اه. الإعجاز القرآني فى فواتح السور و خواتمها، ص: ٦٢ و ادعاء علم الغيب فى قراءة الكف و الفئجان و التنجيم و الإخبار عن الأشياء المفقودة و أسباب بعض الأمراض بدون علم طبي، كل هذا الأمور تدخل تحت أقوال و أفعال تنافى التوحيد أو تنقصه. و إذا كان الطب الحديث استطاع أن يحدد نوع المولود، فهذا علم يعتمد على الاختيارات و التحايل، و أما الغيبات فهى: عمره و رزقه و عمله، شقى أم سعيد، صالح أم طالح، و هذا علم الأزلئ السرمدى الذى يعلم ذلك قبل أن تقع النطفة فى الرحم. و أيضاً دراسة الأحوال الفلكية؛ كأوقات هبوب الرياح و أنواعها و مجيء سقوط المطر المرتبط بها، فهذا علم يقوم على الدراسة و الملاحظة، و أما الغيب فهو الغيث أى المطر النافع للناس. و الأطباء و خبراء الأرصاد من المسلمين من أكثر الناس إيماناً بقدرته سبحانه و تعالى. و من يدعى أن سير الكواكب فى مجاريها و اجتماعها و افتراقها، و ارتباط الناس بها فى الزواج و السفر و الشقاء و السعادة و الأرزاق فهذا من الهواء، لأن النجوم مسخرة مخلوقة ليس لها من الأمر شيء، و من يعتقد غير ذلك فهو ضعيف الإيمان، و إذا كان الله سبحانه اختص نفسه بعلم الغيب كما ذكر القرآن: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۚ ٢٦ إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصِيدًا (الجن: ٢٦-٢٧). إلا إنه تعالى يطلع لمن اصطفاهم لرسالته بعضاً من غيبات الماضى و أخرى فى المستقبل لتكون معجزة له، فقد أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ليكون ذلك دليلاً. الإعجاز القرآني فى فواتح السور و خواتمها، ص: ٦٣ على صدق نبوته، فمن غيب الماضى قوله تعالى: ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيَمَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يَخْتَصِمُونَ (آل عمران: ٤٤). و أما غيب المستقبل، كقوله تعالى: الم ١ غَلَبَتِ الرُّومُ ٢ فى أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ٣ فى بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٥ وَ عِدَّةَ اللَّهِ وَعِدَّةُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (آل عمران: ١-٦). و مع هذا كان الإرشاد منه - سبحانه - إلى نبيه صلى الله عليه وسلم إذا عزم على شيء ليفعله فى المستقبل، أن يرد الأمر إلى مشيئته عز و جل: وَ لَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا (الكهف: ٢٣-٢٤). و قد جاء فى بعض التفاسير عن سبب نزول سورة «الكهف»، أن الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أمرنا أحبار اليهود أن نسألك عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول و ما كان من أمرهم فإنهم كان لهم حديث عجيب؟ و عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض و مغاربها و ما كان من نبأه؟ فتزلت السورة و كان الجواب فيها: أهل الكهف و الخضر عليه السلام. و أما الثانية و هى السؤال عن ماهية الروح؟ فقد أخبر الله بها فى سورة «الإسراء» و التى نزلت قبلها: وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (الإسراء: ٨٥). [تصوير] الإعجاز القرآني فى فواتح السور و خواتمها، ص: ٦٤

السجدة و الأحزاب [استعجال العذاب السجدة «مكية»، و الأحزاب «مدنية»، و ترتيبها حسب المصحف (٣٢، ٣٣)، و حسب نزول الوحى (٧٥، ٩٠). و بينت آخر «السجدة»، الأعراض عن الكفار و المنافقين، بينما أول «الأحزاب» ذكرت موقفين لهما و عدم السماع لهما و التوكل على الله. أما الموقف الأول فإنه صلى الله عليه و سلم خطر له خاطر فى صلاته، فقال المنافقون: ألا ترون له قلبين، قلب معكم و قلب معهم، فنزلت الآية: مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ (الأحزاب: ٤)، (مسند أحمد). و أما الأمر الثانى عند ما قال اليهود و المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه فكذبهم الله تعالى فى ذلك: ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَبِأَخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ وَ مَوَالِكُمْ وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (الأحزاب: ٥).

و هذا من رحمته سبحانه على أمه محمد صلى الله عليه و سلم فى أنه لا أثم إلا على من تعمد الباطل، و أنه تعالى رفع عنهم - كما جاء فى الحديث الشريف - الخطأ و النسيان و ما يكرهون عليه. - يقول تعالى: وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تَخْفَى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا إِعْجَازَ الْقُرْآنِ فِى فَوَاتِحِ السُّورِ وَ خَوَاتِمِهَا، ص: ٦٥ زَوْجَانِ كَهَا لِكِنِّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (الأحزاب: ٣٧). تحكى هذه الآية قصة زواج النبى صلى الله عليه و سلم من ابنة عمه زينب بنت جحش رضى الله عنها و التى خطبها قبل زواجه منها على فتاه زيد بن حارثة رضى الله عنه فظننت أنه يخطبها على نفسه و رضيت طامعة فى شرفه الأسمى، و حين علمت أنه يخطبها لفتاه زيد الذى يتبناه على عادة العرب، استنكفت أن يتزوجها مولى محتجة بأنها خير منه حسبا و أرفع منه نسبا. و كانت زينب امرأة فيها حدة و اعتزاز بجمالها، و لذلك لما أعاد النبى عليها القول بخطبتها على زيد قالت سائلة منكراً: أو أوامر فى نفسى يا رسول الله» و هنا فى أثناء الجدل بينها و بين الرسول صلى الله عليه و سلم، ينزل جبريل عليه السلام بفصل الخطاب: وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (الأحزاب: ٣٦). فقالت: إذا لا أعصى الله و رسوله و رضيته زوجا. لقد تزوجت زينب الحسيبة النسيبة من زيد، و لكنها ظلت تعاشره على كراهية و تتعالى عليه بجمالها، فانطلق يعلن رغبته فى طلاقها، فيقول الرسول صلى الله عليه و سلم: «امسك عليك زوجك و اتق الله». و لما استحالت العشرة بينهما و طلقها زيد و بعد انتهاء عدتها زوجها الله سبحانه لنيه صلى الله عليه و سلم حتى أنها كانت تفتخر قائلة: لقد زوجنى الله من فوق سبع سماوات. هذه هى قصة الآية (٣٧)، من سورة الأحزاب لا تخفى معانى و لا يلتبس فيها لفظ، فهى واضحة كل الوضوح، و لكن بعضا من رواة الأخبار الإعجاز القرآنى فى فواتح السور و خواتمها، ص: ٦٦ تناولوها بلا تحقيق و لا تمحيص، و تلقفها المستشرقون من خصوم الإسلام و نسجوا حولها الروايات الباطلة التى لا سند لها من مزاعمهم و تدليسهم و هى أبعد ما تكون عن الصحيح و الحسن و المقبول. تلك هى قصة زواجه صلى الله عليه و سلم من بنت عمه، و التى تزوجها فى ذى القعدة سنة خمس من الهجرة لنقض تقليد جاهلى متأصل، و هى قاعدة التبنى، و قد أوجب الله سبحانه هذا الزواج لنقض التقليد الجاهلى المتأصل و كان أقرب إلى العرف و التقاليد التى لا فكاك منها و التى لا يصلح معها القول دونه الفعل، و لذلك كان الفعل لا بد له من صاحب الدعوة، و لم يترك الله سبحانه لنيه صلى الله عليه و سلم خيارا و لا مجالا. و من الأمور الهامة التى تؤمن بها إلى حد اليقين، و لا يتشكك فيها إلا كل ضعيف الإيمان، و لا يتلقفها بأقلامه المسمومة إلا كل حاقد على الإسلام، أنه صلى الله عليه و سلم لم يتزوج بهذا العدد من النساء فى أواخر عمره بعد أن قضى ما يقارب من الثلاثين عاما مقتصرًا على زوجة واحدة، و لم يكن هذا الزواج إلا لأغراض سامية كتوثيق الصلات بينه و بين القبائل و كسر حدة العداة للإسلام، و أن تقوم أمهات المؤمنين بالتبليغ للنساء عن أفعاله و أقواله. و رضى الله عن أمهات المؤمنين اللاتى كان من شرفهن و نبهن أنهن آثرن الله و رسوله، و لم تمل احداهن إلى الدنيا. يقول تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّكُمْ وَ أُسَرِّحَنَّكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ٢٨ وَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعِزُّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا (الأحزاب: ٢٨ - ٢٩). اخترن رضى الله عنهن ضيق الحال و الشظف و الزهد، و اخترن الله و رسوله و الدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا و سعادة الآخرة. الإعجاز القرآنى فى

فواتح السور و خواتمها، ص: ٦٧ و هكذا تبين للمسلم مغزى الأمر الإلهي بعدم السماع للكفار و المنافقين أو طاعتهم أو استشارتهم فيما يخالف الشريعة، لأنه سبحانه و تعالى أعلم بخبث سريرتهم و سواد قلوبهم و حقدهم المسموم على أمة الإسلام و نبينا الكرم صلى الله عليه و سلم: فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَ انْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ (السجدة: ٣٠)، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَ لَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (الأحزاب: ١). لقد أكدت الأيام مسرتهم بانكسار الإسلام- و إن شاء الله هذا لن يحدث أبدا- و حزنهم لارتفاع راية الإسلام. يقول سبحانه و تعالى: يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (الصف: ٨- ٩). [تصوير] الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٦٨

فاطر و يس [عاقبة المكذبين]

فاطر و يس [عاقبة المكذبين السورتان مكيان و ترتيبهما حسب المصحف و حسب نزول الوحي (٤٣، ٤١)، و تشترك الخاتمة مع الافتتاح في «عاقبة المكذبين»، في الأولى عاقبة بعض الأمم السابقة و القريبة منهم و آثارهم ما زالت أمام أعينهم، و في الثانية أصحاب القرية و التي لم يبق لها أثر و البعيدة عنهم. يقول تعالى في آخر «فاطر»: أَوْ لَمْ يَسْتَفِئُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ٤٤ وَ لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَ لَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (فاطر: ٤٤-٤٥). و يقول تعالى في أول «يس»: ١ وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤ تَنْزِيلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥ لَتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (يس: ١- ٦). ثم يضرب القرآن لهم مثلا في نفس السورة لأصحاب القرية: وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ١٣ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ١٤ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَ مَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ١٥ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ١٦ وَ مَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (يس: ١٣-١٧). قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بما جتتهم به من الرسالة، سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين للرسول؟ كيف دمر الله بلادهم؟ منازلهم مهدمة الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٦٩ و أصبحت أطلالا و خرابا، و سلخوا النعيم الذي كانوا فيه بعد كمال القوة و كثرة العدد و الأموال و الأولاد، فما أغنى ذلك عنهم شيئا!! و ها هم أصبحوا آية و عبرة لمن يراها لا بعين البصر فحسب و لكن بعين البصيرة. ها هم قوم لوط و قد أخبر الله تعالى عن مجيئهم لما علموا بأضيافه و صباحة و جوههم، و أنهم جاءوا مستبشرين بهم فرحين، ثم يحكى القرآن ما فعله الله تعالى بقرية «سدوم»، فقد رفعها جبريل- عليه السلام- إلى عنان السماء، ثم قلبها و جعل عاليها سافلها، و أرسل عليهم حجارة من سجيل، و هي ما زالت بطريق مهجور حتى يومنا هذا. يقول تعالى في سورة «الحجر»: فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ٧٣ فَجَعَلْنَا عَالِيهَا سَافِلَهَا وَ آمَطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ٧٤ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِمُتَوَسِّمِينَ ٧٥ وَ إِنَّهَا لَسِبِيلٌ مَقِيمٌ ٧٦ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (الحجر: ٧٣-٧٧). و في نفس السورة أيضا قصة «الأيكة»، و هم قوم شعيب، و قد انتقم الله سبحانه منهم لشركهم بالله، و قطعهم الطريق، و نقصهم المكيال و الميزان: وَ إِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ٧٨ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَ إِنَّهُمْ لِيَا مَامٍ مُبِينٍ (الحجر: ٧٨-٧٩). و في نفس السورة شاهد لما يروونه في سفرهم لأصحاب الحجر، و الذي مر به رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو ذاهب إلى تبوك، ففقع رأسه و أسرع بدايته، و قال لأصحابه: «لا تدخلوا بيوت القوم المعذنين إلا أن تكونوا بـاكين، فإن لم تبكوا فتبـاكو خشية أن يصـبكم ما أصـابهم» (١).

(١) رواه البخاري (٤٠٦٨). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٧٠ و أصحاب الحجر هم ثمود الذين كذبوا نبيهم صالحا- عليه السلام-، و قد جاءهم بالناقذة التي أخرجها الله لهم بدعاء صالح- عليه السلام- من صخرة صماء، و كانت تسرح في بلادهم لها شرب و لهم شرب يوم معلوم، فلما

عتوا و عقروها، نزل بهم العذاب: وَ لَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ ٨٠ وَ آتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ٨١ وَ كَانُوا يَنْجُتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُّبُوتًا آمِنِينَ ٨٢ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُضْحِكِينَ ٨٣ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (الحجر: ٨٠-٨٤). و أما القرية البعيدة عن كفار مكة فهي «انطاكية»، كما يقول بعض المفسرين، و قد أهلكهم الله سبحانه بصيحة واحدة من أحد الملائكة، فبادوا عن آخرهم و لم يبق لهم أثر، و قد ذكرها القرآن في إعجاز معجز و لم يذكر اسم القرية و لا اسم الرسل أو اسم الشخص الذي دعاهم إلى الله، و ذلك لأن الهدف من القصة كما جاء في سورة «يس» التذكير و الاعتبار. و قد قيل أن الرسل هم: صادق و مصدوق و شمعون، و قد تعجب القوم من أنهم بشر مثلهم، و توعدوهم بالعذاب و الرجم، و عند ما هموا بقتلهم، أسرع إليهم رجل من أطراف المدينة و هو «حبيب النجار» كما روى ابن عباس رضى الله عنه، و قد جاء في تفسير القرطبي أنه كان مجذوما و يعكف على عبادة الأصنام سبعة عاما يدعوهم و ظل على مرضه، و لما طلب من الرسل الدعاء له، فلما استجاب الله لهم و شفاه من مرضه، أسرع إلى قومه يدعوهم للإيمان بما جاء به الرسل من توحيد الله، و لما ذكر لهم أنه أعلن إسلامه لله تعالى وحده لا شريك له، قتلوه و رأى الجنة، تمنى أن يعلم قومه ما سيكون فيه من كرامة، و هكذا نصح قومه حيا و ميتا، يقول ابن عباس رضى الله عنهما: نصح قومه في حياته الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٧١ بقوله: قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (يس: ٢٦-٢٧)، (رواه ابن أبي حاتم). و جاء في تفسير أبي السعود: تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب الثواب و الأجر، بالتوبة عن الكفر و الدخول في الإيمان، جريا على سنن الأولياء في الترحم على الأعداء. (٢٥٢/٤). و جاء في حاشية البيضاوي: إنهم أحقاء أن يتحسروا على أنفسهم أو يتحسروا عليهم، فإن الأمر لفخامته و شدته، بلغ من حيث إن كل من يتأتى منه؟؟؟ إذا نظر إلى حال استهزائهم بالرسل تحسروا عليهم، و قال: يا لها من حسرة و خيبة على هؤلاء المحرومين، حيث بدلوا الإيمان بالكفر، و السعادة بالشقاء (١٢٨/٣). و كان ختام هذه القصة البليغة قوله تعالى: يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ٣٠ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ٣١ وَ إِن كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (يس: ٣٠-٣٢). يقول أبو حيان: جاءت الآية (٣٢)، بعد ذكر الإهلاك تبينا إلى أن الله تعالى لا يترك المهلكين، بل بعد الهلاك جمع و حساب، و ثواب و عقاب (البحر المحيط ٧/٣٣٥). [تصوير] الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٧٢

يس و الصافات [كلمة التوحيد]

يس و الصافات [كلمة التوحيد] مكيتان و ترتيبهما حسب المصحف (٣٦، ٣٧)، و حسب نزول الوحي (٤١، ٥٦)، و خاتمة سورة «يس»، بآية المشيئة ثم خلاصة التوحيد: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (يس: ٨٢-٨٣). و هذا الختام الرائع دليل على كمال القدرة، و أنه تنزه و تمجد و بيده الملك الواسع و القدرة التامة و إليه وحده المرجع للحساب و الجزاء. و تبدأ سورة «الصافات»، بقسم عظيم و هو الملائكة في السماء تصف نفسها للعبادة و تنقل ما تؤمر به ثم تقرر أن الله واحد، و هذا القسم لبيان أصل العقيدة الإسلامية و هو «التوحيد»: وَ الصَّافَّاتِ صَفًّا ١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ٣ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ٤ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ رَبُّ الْمَشَارِقِ (الصافات: ١-٥). و إن إلهكم إله واحد أحد فرد صمد، ليس كمثل شىء، ليس له شريك في ملكه، هذا هو المقسم عليه سبحانه و تعالى، لأن كفار مكة تعجبوا: كيف يكون لهذا الملك الواسع إله واحد؟ فأقسم الله بالملائكة تشرف لهم. (من تفسير القرطبي). «كلمة التوحيد» من أجلها خلق الله الخلق، و من أجلها أنزل كتبه و بعث رسله، و من أجلها شرع الجهاد، هي مفتاح الجنة، و هي كلمة نجاه و منهاج حياة، و هي كلمة لا تقال فحسب و إنما هي علم و عمل، أى أنها علم بمعنى فرض على كل مسلم أن يعرف معناها، و عمل أى طاعة لله وحده لا شريك له، متقربا إليه سبحانه على ما جاء به رسوله صلى الله عليه و سلم، و كما كانت رساله لجميع الأنبياء، فقد الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٧٣ كان قولهم جميعا كما بين القرآن: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (الروم: ٣٠). ولقد اهتم العلماء المخلصون ببيان العقيدة الصحيحة والتي لا تشوبها شائبة من التيارات المنحرفة كالإلحاد والتصوف بشكله الحالي والرهبنة والقبورية والوثنية والبدع المخالفة للهدى النبوية، وأن صرف العبادة لغير الله من أكبر الشرك الذي يخرج عن الملة إذا لم يتب صاحبه منه، والذي من أنواعه: التقرب بالذبائح والندور لغير الله من القبور والجن والشياطين، والدعاء بتفريج الكروب وفضاء الحاجات والشفاء من الأمراض من أصحاب القبور، والتوسل بغير الله وصفاته وأسماؤه سبحانه وتعالى. ومن المفيد أن نستعرض بعضا مما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «الجواب الباهر»، وقد وضعه ليكون الدين كله لله، ولتكون حقيقة التوحيد ظاهرة مصونة عن ما خالطها من البدع والجهل، وقد بين فيه أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الحلف بغير الله، وعن الصلاة النافلة عند طلوع الشمس وغروبها، واتخاذ القبور مساجد، واتخاذ قبره الشريف صلى الله عليه وسلم عيداً، والنهي عن السفر إلى غير المساجد الثلاثة، وقد جاء في باب «التفريق بين زيارة أهل التوحيد وزيارة أهل الشرك»: «أما ما يظنه بعض الناس من أن البلاء يندفع عن أهل بلد أو إقليم بمن هو مدفون عندهم من الصالحين، فهذا غلط مخالف لدين الإسلام، مخالف للكتاب والسنة والإجماع» (١) (من كتاب الجواب الباهر).

(١) فيا لله من حال مشايخ هذا الزمان

ولا هم لهم إلا جمع الندور و نثر البخور و نشر القصاص على الجياع في الموالد، و إماتة التوحيد و إحياء معالم الشرك، و المقاتلة من أجل الفوز بمساجد الأضرحة .. فيا ليت الأزهر و وزارة الأوقاف تحمى جناب التوحيد فتحرك لذلك ساكنا. الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٧٤ ثم يخرج شيخ الإسلام بأن البلاء يرفع بمشيئة الله سبحانه والعمل الصالح، و يختتم كتابه القيم بما يجب على ولاة أمر المسلمين من إقامة الدين و إنكار البدع و منعها، و ذلك لأنهم أحق الناس بنصرة دينه و الذي أصله الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، يقول تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ٥٥ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (المائدة: ٥٤-٥٦). و أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد بين في أكثر من موضع أن للإسلام شروط سبعة و هي: العلم المنافي للجهل، و اليقين المنافي للشك، و التوحيد المنافي للشرك، و الصدق المنافي للكذب، و المحبة المنافية لكرهية الكفر، و الانقياد المنافي للعصيان، و القبول المنافي للجدل. و يقول- رحمه الله- عن معنى التوحيد: «هو إفراد الله بالعبادة، و هو دين الرسل، الذين أرسلهم إلى عباده». و من أهم كتبه و التي يجب على كل مسلم أن يقرأه جيدا، كتاب: «كشف الشبهات في التوحيد»، و فيه الرد الواضح على من يقول على أن الاستغائة بغير الله لا تدخل في الشرك لأن الناس تستغيث بالأنبياء يوم القيامة، و أن موسى عليه السلام استغاث به الذي من قومه، و أن الجنود تستغيث ببعضها في الحروب، و قد بين أن كل هذا جائز في الدنيا و الآخرة، و أما الذي ينكره أهل التوحيد فهو الاستغائة بالموتى، و قد كان الصحابة يسألونه صلى الله عليه وسلم الدعاء الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٧٥ و الاستغائة بالله سبحانه و تعالى، و قد كان ذلك كله في حياته، أما بعد موته- فحاشا و كلا- أنهم سألوه ذلك عند قبره. يقول ابن كثير في تفسير الآية: ينكر الله تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله، فأخبر تعالى أنها لا تضر و لا تنفع و لا تملك شيئا و لا يقع شيء ما يزعمون فيها و لا يكون هذا أبدا و لهذا قال تعالى: قُلْ أَتُبْتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ (يونس: ١٨)، ثم أخبر تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس كائن بعد أن لم يكن و أن الناس كلهم كانوا على دين واحد و هو الإسلام، قال ابن عباس: كان بين آدم و نوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، ثم وقع الاختلاف بين الناس و عبدت الأصنام و الأنداد و الأوثان فبعث الله الرسل بآياته و بيناته و حججه البالغة و براهينه الدامغة كما قال تعالى: لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ (الأنفال: ٤٢)، (تفسير القرآن العظيم / ٢، ٤٩٢). [تصوير]

الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٧٦

الصفات و «ص» [وعد الله بالنصر]

الصفات و «ص» [وعد الله بالنصر] مكيان و ترتيبهما حسب المصحف الشريف (٣٧، ٣٨)، و حسب نزول الوحي (٥٦، ٣٨)، مهما ظهر الباطل و أتباعه و ارتفع و علا في الأرض، فإن ذلك أشبه بموجات البحر تملو و ترتفع و تدمر ثم تنكر و تتلاشى و كأن شيئاً لم يكن ليحل الحق و أهله محلهم، و هذا ما تقرره و تؤكد السورتان. يقول الحق سبحانه في محكم كتابه: **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ١٧٢ وَإِن جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ ١٧٣ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ١٧٤ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ١٧٥ أ فَبِعَدَابِنَا يُشْتَعْلُونَ ١٧٦ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ١٧٧ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ١٧٨ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ١٧٩ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ١٨١ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (الصفات: ١٧١-١٨٢).** و يقول سبحانه في أول «ص»: **ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْمٍ فَنَادَوْا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ (ص: ١-٣).** و هكذا أعداء لحق يرفعون شعارا واحدا بأنهم الأشد و الأقوى، و لن تستطيع أى قوة مهما كانت أن تقهرهم، و عند ما ينزل بهم العذاب يستغيثون كما حدث من الأمم المكذبة قبلهم، و لكن لا مهرب و لا منجى لهم. و قد ذكرت سورة «الصفات» عددا من الأنبياء و موقف القوم منهم: نوح عليه السلام كلما دعا قومه نفروا و استهزءوا و كذبوا، و قد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما و هم مصررون على استكبارهم و عنادهم، و قد ملأ قلوبهم الشعور الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٧٧ بالعظمة، و غشى أبصارهم السمو و الكبرياء و العناد، و احتقروا الضعفاء و ازدروا المعدمين و المساكين، و أمه تسيطر عليها هذه الضلالات و استخفتها هذه الغواية الجديرة بالغناء و الزوال، و هذا ما حدث ما إن دعا ربه أنى مغلوب فاتصر، يقول تعالى: **وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعَمَ الْمُجِيبُونَ ٧٥ وَنَجَّيْنَاهُ وَآهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ٧٦ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ٧٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ٧٨ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ٧٩ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٨٠ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ٨١ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ (الصفات: ٧٥-٨٢).** ثم تنتقل السورة إلى سيدنا إبراهيم الخليل - عليه السلام - مع قومه عند ما أنكر عليهم عبادة الأصنام، و أقام عليهم الحجج و الدليل الساطع، فألقوه في النار، و نجاه الله و أظهره عليهم و أعلى حجته و نصرها: **قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ ٩٥ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ٩٦ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَشْقَالِينَ ٩٨ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ٩٩ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (الصفات: ٩٥-١٠٠).** و تذكر السورة بعد ذلك كلیم الله موسى و هارون - عليهما السلام - و ما أنعم الله عليهما من النبوة و النجاة، و كانت لهما الغلبة و معها من آمن: **وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَ هَارُونَ ١١٤ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ١١٥ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ١١٦ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ١١٧ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ١١٨ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ١١٩ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَ هَارُونَ ١٢٠ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٢١ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (الصفات: ١١٤-١٢٢).** و إلياس - عليه السلام - و قد دعا قومه إلى الله تعالى و نهاهم عن عبادة ما سواه، و لكنهم استمروا على ضلالتهم، و لما كذبوا كتب الله عليهم العذاب: الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٧٨ **وَإِنَّ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ١٢٣ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ١٢٥ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ١٢٦ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ١٢٧ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ١٢٨ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ١٢٩ سَلَامٌ عَلَى إِيَّاسِينَ ١٣٠ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٣١ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (الصفات: ١٢٣-١٣٢).** و قصص الأنبياء التي سردها القرآن ما هي إلا تسرية لنبيه صلى الله عليه و سلم بأن يصبر على أذى الكفار، و أن العاقبة و النصر له صلى الله عليه و سلم و لأمة إلى يوم القيامة، و أن الهلاك و العذاب و النكال لمن خالفه و كذبه و لم يؤمن برسالته، و هذا ما بينته أول سورة «ص»، بأن الكفار حين يروا العذاب نادوا بالتوحيد، فلم ينفعهم النداء و لا التوبة حين أقبل عليهم الموت، و قد وضحت السورة بإيجاز ما حدث لقوم نوح - عليه السلام -، و فرعون، و ثمود، و قوم لوط - عليه السلام -، و قوم شعيب - عليه السلام - و ما حق عليهم جميعا من العذاب: **إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ١٤ وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ (ص: ١٤-١٥)،** هذا وعد الله الذي لا يخلف

وعده كقوله تعالى: وَعِدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعِيدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (الروم: ٦)، وعد الله للمؤمن في الدنيا بالحجة والبرهان، وفي الآخرة بدخول الجنة. ولللكافر في الدنيا بالخزي والعذاب، وفي الآخرة بدخول النار. يقول المفسرون: نصر المؤمنين محقق، وأما هزيمتهم في بعض الأحيان إما للتقصير أو الابتلاء. يقول سبحانه وتعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبُاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصِيرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (البقرة: ٢١٤). الإعجاز القرآني في فواتح السور وخواتمها، ص: ٧٩ جاء في تفسير ابن كثير: يقول تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ، قبل أن تبتلوا وتختبروا كما فعل بالذين من قبلكم من الأمم، ولهذا قال: وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبُاسَاءُ وَالضَّرَاءُ، وهي الأمراض والأسقام والآلام والمصائب والنوائب، قال ابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير ومره الهمداني والحسن وقتادة والضحاك والربيع والسدي ومقاتل بن حيان البأساء: الفقر، والضراء: السقم. وَزُلْزِلُوا خَوْفًا مِنَ الْأَعْدَاءِ زَلْزَالًا شَدِيدًا، و امتحنوا امتحانا عظيما، كما جاء في الحديث الصحيح عن خباب بن الارت، قال: قلنا: يا رسول الله، ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ فقال: «إن من كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد، ما بين لحمه وعظمه، لا يصرفه ذلك عن دينه»، ثم قال: «والله ليطمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم قوم تستعجلون»، وقال تعالى: ألم أحيي الناس أن يُترَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (العنكبوت: ١-٣). وقد حصل من هذاب جانب عظيم للصحابة رضي الله عنهم في يوم الأحزاب، كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُفِّرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذْ جَاؤْكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا (الأحزاب: ٩-١١)، (تفسير القرآن العظيم / ١، ٢٩٠). الإعجاز القرآني في فواتح السور وخواتمها، ص: ٨٠

ص والزمر [الاخلاص في العبادة]

ص والزمر [الاخلاص في العبادة] مكيان و ترتيبهما حسب المصحف (٣٨، ٣٩)، و حسب نزول الوحي (٣٨، ٥٩)، خاتمة سورة «ص» تبين قصة خلق آدم وسجود الملائكة كلهم سوى إبليس (١) ولم يكن جنسا منهم، ولما أمن الهلاك إلى يوم القيامة، أقسم بغواية بني آدم إلا العباد المخلصين وهم المؤمنون: قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ٨٠ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ٨٣ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ٨٤ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ٨٥ قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ٨٦ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٨٧ وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (ص: ٧٩-٨٨). ثم تأتي أول «الزمر»، وكأنها تشرح المنهج الإغوائي عند إبليس، وكيفية النجاة منه: تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ١ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ٣ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (الزمر: ١-٤). وسورة «الزمر»، تحدثت عن «عقيدة التوحيد»، بالإسهاب، حتى لتكاد تكون هي المحور الرئيسي لها، فهي ضربت مثلا لمن يعبد إلهًا واحدا، و من يعبد

(١) كان إبليس - لعنه الله - من الجن وكفر واستكبر وكان من الكافرين، قال تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ (الكهف: ٥٠)، فإبليس أصل الجن. «تفسير القرآن» د. عبد الله شحاته، المجلد ٦، ص ٢٩٩٤. الإعجاز القرآني في فواتح السور وخواتمها، ص: ٨١ آلهة متعددة لا تسمع ولا تجيب، وهو مثل للعبد الذي يملكه شركاء متخاصمون، والعبد الذي يملكه سيد واحد،

وقد تكررت كلمة «الإخلاص»، في السورة أربع مرات، و بينت أن الله سبحانه لا- يرضى لعباده الكفر، و ما أعده من البشري لمن يجتنب الطاغوت و هو كل ما يعبد من دون الله، و أن الشفاعة لله وحده و لمن ارتضى من خلقه، و أن من رحمته أن يغفر الذنوب جميعا ما عدا الشرك إلا من تاب، و أنه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم لأنه هو المتفرد بصفات الألوهية. «العقيدة الصحيحة»، هي أول شرط من شروط الانتماء لهذا الدين الحنيف، و هي مقدمة العقيدة الصحيحة الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و القدر خيره و شره، و بعذاب القبر و سؤال منكر و نكير، و علامات الساعة كما جاءت في الكتاب و السنة، و أن الموت و البعث و الصراط و الميزان كلها حق، و أن عيسى- عليه السلام- عبد الله و رسوله، و أن الجنة و النار حق، و أن الشفاعة ثابتة له صلى الله عليه و سلم بأذن منه سبحانه. و من العقيدة الصحيحة الاعتقاد بأن كل مؤمن تقى هو ولي لله، و لأوليائه كرامات إيمانية في حياتهم كنزول المطر بعد صلاة الاستسقاء و غيرها، و أما ما يظهر على يد المبتدعة و الدجالين ممن لا إيمان لهم فهو من عمل الشيطان. و من أهم أمور العقيدة الصحيحة التأكد إلى حد اليقين الذي لا يختلط بشوائب من الشرك أنه سبحانه النافع و الضار، فمن توجه بأي نوع من العبادة لغيره سبحانه فهو مؤمن على إيمانه و فاسق على كبريته و هو في مشيئة الله و هو لن يخلد في النار لشهادته أنه لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله، و عليه أن يتوب في حياته. الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٨٢ كذلك من الأمور الهامة معرفة أن التوسل قسمان: مشروع و ممنوع، و المشروع مجمع على شرعيته بأنواعه الثلاثة «١» و لا- خلاف عليه بين المسلمين، و أما الممنوع فهو الذي عليه الخلاف، و مع أن الأمر واضح جلي كوضوح الشمس في كبد السماء، و لا يراه إلا من طمس الله على بصيرته. و أدلة من يرى أن التوسل بالميت الصالح جائز لأنه ليس توسلا بالجسم و لا بالحياة و لا بالموت و لكن بالمعنى الطيب الملازم في الموت و الحياة، و ما الجسم إلا حقيية لصيانة هذا المعنى الشريف !! أ رأيت إلى أي مدى لا ترى عيونهم و لا تفكر عقولهم؟! و الغريب و اللافت للنظر أنهم يستشهدون بروايات صحيحة أي أنها كلمة حق أريد بها باطل، فهم يستشهدون بقصة الأعمى الذي دعا له الرسول صلى الله عليه و سلم، و الأعرابي الذي طلب منه صلى الله عليه و سلم أن يستسقى لهم، و الجارية التي كانت تصرع فخيرها صلى الله عليه و سلم بين الصبر و الدعاء، و لكنهم نسوا أمرا هاما و هو أن كل ذلك حدث في حياته صلى الله عليه و سلم، و أن هذا التوسل بدعائه قد انقطع بموته صلى الله عليه و سلم، بل و حتى الشفاعة لا بدّ و أن نقول: اللهم ارزقني شفاعة رسولك و حبيبك محمد صلى الله عليه و سلم. و مع كل هذا لا بدّ من التأكيد بأنه من الأهمية الاعتقاد بأن مرتكب الكبائر من المسلمين ليس كافرا، ما لم يكن مستحلا لها أو جاحدا لحكمها، و أنه سبحانه باسط يدها لمن يقبل عليه بالتوبة. يقول سبحانه: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٣ وَ أَيْنُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَ أَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يُأْتِيَكُمْ (١) ١-

التوسل بأسماء الله الحسنى و بصفاته الحميدة المجيدة. ٢- التوسل بالعمل الصالح. ٣- التوسل بالأحياء الصالحين المهديين. الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٨٣ العذاب ثم لا تُصَيَّرُونَ ٥٤ وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَ أَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ٥٥ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْبَ تَرْتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَ إِن كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ ٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ٥٨ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَ اسْتَكْبَرْتَ وَ كُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٥٩ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ٦٠ وَ يُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ (الزمر: ٥٣-٦١)، يقول ابن كثير في تفسيره: هذه الآيات دعوة لجميع العصاة الكفرة و غيرهم إلى التوبة و الإنابة و إخبار بأن الله تبارك و تعالي يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها و رجع عنها، و إن كانت مهما كانت و إن كثرت و كانت مثل زبد البحر. و يقول الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم و الجود قتلوا أولياءه و هو يدعوهم إلى التوبة و المغفرة. و يقول الحق في محكم كتابه: وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا (النساء: ١١٠)، يقول ابن عباس عن الآية: و لو كانت ذنوبه أعظم من السموات و الأرض و الجبال. و قال- عزّ و جل- في الحديث القدسي

فيما رواه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم: «يا ابن آدم... لو بلغت ذنوبك عنان السماء.. ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي» (١).
[تصوير (١) رواه أحمد في مسنده (٢٠٨٩٩)، و الدارمي في سننه (٢٦٦٩). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٨٤]

الزمر و غافر [التقابل في القرآن

الزمر و غافر [التقابل في القرآن مكيتان و ترتيبهما حسب المصحف (٣٩، ٤٠)، و حسب النزول (٥٩، ٦٠)، أي أنهما اشتركتا في المكان، و تتابع الترتيب في المصحف الشريف، و في جو نزول الوحي الإلهي. و تشترك الخاتمة و الافتتاح فيما يعرف في أساليب البلاغة بالمقابلة و هي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب من أرقى المحسنات البديعية و أجملها. المقابلة في خاتمة سورة «الزمر»، بين أبواب النار المغلقة أمام الكفار إهانة لهم، و أبواب الجنة المفتوحة أمام المؤمنين تكرمه لهم: وَ سَيَقُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤَهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَ يُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَ لَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ٧١ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ٧٢ وَ سَيَقُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤَهَا وَ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ٧٣ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَ أَوْثَقْنَا الْأَرْضَ نَبْتًا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ٧٤ وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ قَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (الزمر: ٧١-٧٥). و أما المقابلة في أول «غافر»، و تسمى سورة «المؤمن»، أو «مؤمن آل فرعون»، فهي: بين المؤمن و الكافر، و السعداء و الأشقياء، و الحق و الباطل، الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٨٥ و الهدى و الضلال. و هذا ما يشير إليه الكتاب العزيز في الآيات الكريمة: حم ١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (غافر: ١-٣). و المقابلة في القرآن الكريم لها مواضع كثيرة و أكثره بين نعيم الجنة المرضية لأصحابها، و نار جهنم الشديدة الحرارة و ندم أهلها لا تباعهم الشيطان و الدنيا و النفس الأماره بالسوء: فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمَّهُ هَٰوِيَةٌ ٩ وَ مَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ (القارعة: ٦-١٠). و أما في سورة «النبأ»، فتشير الآيات إلى أن الجزاء للكافر على قدر عمله، و بالميزان العادل، السيئة بالسيئة، و لأنه لا شيء أعظم من الكفر، كان العذاب الذي لا أشد منه إلا النار، و أما بالنسبة للمؤمن فالجزاء ليس بالميزان، بل بالإحسان و الفضل، و الحسنه بأضعافها: إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ٢١ لِلطَّاغِينَ مَأْبًا ٢٢ لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا ٢٣ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَ لَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَ عَسَاقًا ٢٥ جَزَاءً وَفَاقًا ٢٦ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ٢٧ وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ٢٨ وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ٢٩ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ٣٠ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَائِقَ وَ أَعْنََابًا ٣٢ وَ كَوَاعِبَ أَتْرَابًا ٣٣ وَ كَأْسًا دِهَاقًا ٣٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لُعَاوًا وَ لَا كِذَابًا ٣٥ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (النبأ: ٢١-٣٦). أما التقابل في سورة «المطففين»، و هي آخر السور المكية، فهو بين ضحك الكفار في الدنيا استهزاء و سخرية، و ضحك المؤمنين في الآخرة: إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ٢٩ وَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ٣١ وَ إِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُونَ ٣٢ وَ مَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ٣٣ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ٣٤ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ٣٥ هَلْ تُؤْتَىٰ بِكُلِّ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (المطففين: ٢٩-٣٦). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٨٦ و أما التقابل المعجز ما جاء في آية واحدة عن صفة الجنة بنعيمها و أنهارها، و بين صفة النار و شدة عذابها: مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَ أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَ أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَبِذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَ أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَ سُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (محمد: ١٥). و قد جاء في الحديث الشريف عن صفة أنهار الجنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سألتكم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة، و أعلى الجنة و منه تفجر أنهار الجنة و فوقه عرش الرحمن» (تحفة

الأحوذى برواية البخارى). و يقول سبحانه: لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (الحشر: ٢٠). التقابل بين الفجار و الأبرار تشير إليه آيات الكتاب الكريم فى أكثر من موضع، الفجار من دعا عليهم صلى الله عليه و سلم بألا يكون لأحد منهم عنده يدا أو نعمة، و الأبرار الناجون و قلوبهم كمصابيح الهدى، الفجار هم حزب الشيطان و الأبرار حزب الله. يقول سبحانه و تعالى فى سورة «المجادلة»: اسْتَخَوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ١٩ إِنَّ الَّذِينَ يَحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَى ٢٠ كَتَبَ اللَّهُ لِمَآءِغِبِنَّا أَنَا وَ رَسُولِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ٢١ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَ أَيْدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَ يَدْخُلُهُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (المجادلة: ١٩-٢٢). الإعجاز القرآني فى فواتح السور و خواتمها، ص: ٨٧ هذا من أمر الآخرة، أما التقابل فى الدنيا فلا يقدر عليها إلا سبحانه و تعالى خالق كل شىء و الذى يحول الظاهرة الكونية إلى الشىء و نقيضه بالنسبة للكافر و المؤمن: الرعد فيه الخوف من العقاب للكافر، و فيه الطمع فى رحمة للمؤمن. و الرياح تصبح ريحا قوية شديدة الصوت لا تبقى و لا تذر بالنسبة للكافر، و ريحا فيها الخير للمؤمن. و الأمطار تصبح حجارة تنزل بالعذاب المهين للكافر، و غيثا للمؤمن فيها الرحمة و الشفقة. و أما الأعجب فهو النقيضين فى مكان واحد و موقف الكافر و المؤمن منهما، تلك هى جبال الثلج الطافية فوق مياه المحيط عند القطبين الشمالى و الجنوبى، إنها مياه عذبة سائغة للشاربين وسط مياه مالحه مرة المذاق، و الكافر ينظر و يبحث و يحلل و لكنه لا يرى و لا يتدبر و لا يتأمل، و أما المؤمن فإنه يرى أنها منظومة متكاملة للحياة على سطح الأرض. و سبحان الله فيما خلق و أبدع و أحسن: وَ مَا يَشْتَرِي الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ ١٩ وَ لَمَّا الظُّلُمَاتُ وَ لَمَّا النُّورُ ٢٠ وَ لَمَّا الظُّلُّ وَ لَمَّا النُّورُ ٢١ وَ مَا يَشْتَرِي الْأَحْيَاءُ وَ لَمَّا الْأَمْواتُ إِنَّ اللَّهَ يُشِيعُ مَنْ يَشَاءُ وَ مَا أَنْتَ بِمُشِيعِ مَنْ فِي الْقُبُورِ ٢٢ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (فاطر: ١٩-٢٣). و يقول ابن كثير: كما لا يستوى هذه الأشياء المتباينة المختلفة كالأعمى و البصير لا- يستويان، بل بينهما فرق و بون كثير، و كما لا- تستوى الظلمات و لا النور و لا الظل و لا الحرور، كذلك لا- تستوى الأحياء و لا- الأموات كقوله تعالى: أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (الأنعام: ١٢٢). الإعجاز القرآني فى فواتح السور و خواتمها، ص:

محمد و الفتح [الاسوة الحسنة]

محمد و الفتح [الاسوة الحسنة] مدنيان و ترتيبهما حسب المصحف (٣٧، ٤٨)، و حسب نزول الوحي (٩٥، ١١١)، سورة «محمد» صلى الله عليه و سلم غيرت فى تاريخ الجهاد الإسلامى بأن الجيوش الزاحفة تحت علم التوحيد كانت تعلق بأصواتها تلاوة لها، و لم يكن هذا القتال من أجل عرض من أعراض الدنيا الفانية، و لكن ابتغاء ما عند الله، و انتظار مثوبة الآخرة، و للقضاء على أكبر امبراطوريته فى العالم القديم قامت على القهر و الظلم، و جمعت بين خصلتين من خصال الشر: الكفر بالله و الصد عن سبيله. يقول تعالى فى أول السورة: الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ١ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ أَصْلَحَ بِهِمْ ٢ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (محمد: ١-٣). ثم تنتهى السورة و كأنها تجسيد لمقاومة الحق فى هذه الدنيا أمام الباطل: وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ وَ نَبْلُوَنَّكُمْ (محمد: ٣١). و سورة «محمد» صلى الله عليه و سلم من أشد السور على المنافقين، و بعد نزولها لا يتكلم منافق أمام الرسول صلى الله عليه و سلم إلا عرفه من كلامه و أسلوبه (تفسير القرطبي). و أما سورة «الفتح» فقد بدأت و هى تبشر بالفتح و بمغفرة الله: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ١ لِيُغْفِرَ لِمَن كَانَ مِنْ دُونِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يُؤَيِّمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ٢ وَ يُنصِّرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا (الفتح: ١-٣). الإعجاز القرآني فى فواتح السور و خواتمها، ص: ٨٩ و تنتهى

القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٩٢

النجم و القمر [علامات الساعة]

النجم و القمر [علامات الساعة] مكيان و ترتيبهما حسب المصحف (٥٣، ٥٤)، و حسب نزول الوحي (٢٣، ٣٧)، و تشترك الخاتمة و الافتتاح في «علامات الساعة». يقول تعالى في خاتمة «النجم»: هذا نذير من النذر الأولى ٥٦ أَرَفَتِ الْأَرْفَةَ ٥٧ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ٥٨ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ٥٩ وَ تَضْحَكُونَ وَ لَا تَبْكُونَ ٦٠ وَ أَنْتُمْ سَامِدُونَ ٦١ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَ اعْبُدُوا (النجم: ٥٦-٦٢). و يقول تعالى في أول «القمر»: اقتربت الساعة و انشق القمر ١ وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ٢ وَ كَذَّبُوا وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَ كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ٣ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ٤ حِكْمَةٌ بِالْعَاقِبَةِ ٥ فَتَوَلَّى الْعَذَابُ الْيَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكِرٍ ٦ خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ٧ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (القمر: ١-٨). و سميت «الآرفة» لدنوها و قرب قيامها، و أما معنى اقتربت الساعة، فهو تحذير من شدة أهوالها. (تفسير القرطبي). و إذا كان علم وقت قيامها مرده إليه وحده سبحانه و تعالى، فإن هناك نصوصا من القرآن و السنة تحدثت عنها للعظة و الاعتبار. فمن علاماتها الكبرى نزول عيسى - عليه السلام - يقول تعالى: وَ إِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَ اتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (الزخرف: ٦١)، أى أن خروج عيسى - عليه السلام - من أعلام الساعة، حاكما بشريعه نبينا محمد صلى الله عليه و سلم كما جاء في الحديث: «و الذى نفسى الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٩٣ بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا، فيكسر الصليب، و يقتل الخنزير، و يضع الجزية، و يفيض المال حتى لا يقبله أحد» (اللؤلؤ و المرجان فيما اتفق عليه الشيخان). و من علاماتها ظهور نار و دخان يسوقان الناس إلى أرض المحشر، يقول تعالى: فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ١٠ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١ رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (الدخان: ١٠-١٢)، و يقول ابن عباس: لم يمض الدخان و إنما هو من أمارات الساعة. و من علاماتها خروج دابة من الأرض تكلمهم بأن الناس كانوا بآيات الله لا يصدقون كما تشير الآية من سورة النمل: وَ إِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (النمل: ٨٢)، و دابة الأرض هى من الأشياء التى أراد الله - عز و جل - أن يذكرها إجمالا دون تفسير، و لم يصفها النبي صلى الله عليه و سلم و يشرحها فى سنته شرحا وافيا، و قد قيل فى شأنها الكثير من الروايات الضعيفة و التى قال عنها أحد المفسرين: ما سودت به المصاحف و ضاع الوقت فى نقله - تفسير الألوسى -، و قال عنها الإمام الرازى: و أعلم أنه لا دلالة فى الكتاب على شىء من هذه الأمور، فإن صح الخبر فيه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل و إلا لم يلتفت إليه. و يقول الشيخ محمود شلتوت: و قد فات على المفسرين أن يضعوا حدا لصون التفسير من هذه الإسرائيليات التى أظلمت الجوى على طلاب الهداية القرآنية، و شغلهم عن اللب و الجوهر بما أوصقته بالقرآن و قصرُوا جهودهم على البحث فيما أوصق. (من خواطر العلامة شيخ الأزهر الأسبق - رحمه الله -). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٩٤ و أما ظهور العلامة التى لا تقبل بعدها التوبة فهى خروج الشمس من المغرب، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لا- تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت و رآها الناس آمنوا أجمعون، و ذلك حين لا ينفع نفس إيمانها» (١)، ثم قرأ صلى الله عليه و سلم: وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (يس: ٣٨). و إذا تأملنا الأحاديث الشريفة فنجد أنها تشتمل على أخبار من المستقبل، و تعد من علامات الساعة الوسطى، و قد تحقق الكثير منها و هى تعد من علامات النبوة له صلى الله عليه و سلم و من تلك العلامات: كثرة الزلازل، و ظهور الفتن و الهرج، و تقارب الزمان، و قبض العلم، و الإفتاء عن جهل. و من العلامات الوسطى ما جاء فى هذا الحديث الشريف و الذى يعد من علامات النبوة: يقول صلى الله عليه و سلم: «ينزل أناس من أمتى بغائط يسمونه البصرة عند نهر يقال له دجلة يكون عليه جسر يكثر أهلها و تكون من أمصار المسلمين، فإذا كان فى آخر الزمان جاء بنو قنظوراء عراض الوجوه، صفار الأعين حتى ينزلوا على شط النهر، فيتفرق أهلها ثلاث فرق: فرقة يأخذون بأذنان البقر و البرية و هلكوا، و فرقة يأخذون لأنفسهم و

كفروا، و فرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم و يقاتلون و هم الشهداء» (٢). و هذا الحديث الشريف يبين الفرقتين الهالكيتين: و أولهما من رضيت بالتبعية البغيضة و التي جاء وصفها في الحديث الشريف: «لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا فشير و ذراعا ذراعا حتى لو دخلوا حجر ضب تبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله اليهود و النصاري؟ قال: «فمن» (٣).

(١) البخارى (٤٢٦٩)، و مسلم (٢٢٦)، و كذا رواه أبو داود و الدارمى. (٢) رواه أبو داود (٣٧٥٢). (٣) رواه البخارى (٦٧٧٥). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٩٥ و أما الفرقة الثانية فهي تلك التي رضيت بالضعف و الذل و المهانة كما جاء في الحديث الشريف: «إذا تابعتهم بالعينه، و أخذتم أذنان البقر، و رضيتم بالزرع و تركتم الجهاد سلب الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» (١). و أما الفرقة الثالثة و هم من جعلوا الدنيا خلف ظهورهم و جاهدوا حتى الشهادة، فاستثناهم الله بمشيئته من نفخة الصعقة، و بعثهم آمين من الفرع الأكبر. يقول الحق: وَ نَفَخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ٦٨ وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَ وُضِعَ الْكِتَابُ وَ جِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَقَصَّيْ بِينَهُم بِالْحَقِّ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٦٩ وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (الزمر: ٦٨-٧٠). عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «سألت جبريل عليه الصلاة و السلام عن هذه الآيات من لم يشأ الله تعالى أن يصعقهم؟ قال: هم الشهداء يتقلدون أسياهم حول عرشه تتلقاهم الملائكة يوم القيامة إلى المحشر بنجائب من ياقوت نمارها ألين من الحرير مد خطاها مد أبصار الرجال يسرون في الجنة يقولون عند طول النزهة انطلقوا بنا إلى ربنا لننظر كيف يقضى بين خلقه، يضحك إليهم إلهي و إذا ضحكك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه» (١). [تصوير (١) رواهما أبو داود. الإعجاز

القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٩٦

التكوير و الانفطار [الجنة و النار]

التكوير و الانفطار [الجنة و النار] مكيتان و ترتيبهما حسب المصحف الشريف (٨١، ٨٢)، و حسب نزول الوحي (٧، ٨٢)، و تشترك السورتان و معهما سورة «الانشقاق»، (٨٤، ٨٣)، في أمر أشار إليه الحديث الشريف و هو «سرور المؤمن يوم القيامة». عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ إذا الشمس كورت (التكوير: ١)، و إذا السماء انفطرت (الانفطار: ١)، و إذا السماء انشقت (الانشقاق: ١)، (رواه الترمذى و أحمد في تحفة الأحوذى). و سبب سرور المؤمنين: جنة أدنيت و قربت لهم، فلا يستطيعون عنها صبورا، و نار أضمرت لأعداء الله تعالى، و أهلها يساقون إليها الأغلال في أيديهم و أعناقهم، فيحمدون الله لفضله عليهم بنجاتهم من النار. يقول سبحانه: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ١ وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٢ وَ إِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ٣ وَ إِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ٤ وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٥ وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ٦ وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ٧ وَ إِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ٩ وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ١٠ وَ إِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ١١ وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُيِّعَتْ ١٢ وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُخْضِرَتْ (التكوير: ١-١٤). في هذا اليوم العصيب يذهب نور الشمس، و تتساقط النجوم، و تتلاشى الجبال، و تترك النوق الحوامل و التي كان الناس أكثر حرصا عليها، و تجمع الوحوش لتقتص من بعضها ثم تصير ترابا، و تعود الأرواح إلى الأجساد، و تشتكى المؤودة بأنها قتلت بدون ذنب، و تنشر الصحف، و تنزع السماء عن الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٩٧ أما كنها و تنشق، و تتناثر النجوم و الكواكب، و تصبح البحار و كأنها بحر واحد، و يبعث الموتى من القبور. و عن ذلك ينقسم الناس إلى قسمين: الأبرار و الفجار. يقول تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ١٣ وَ إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ١٤ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ١٥ وَ مَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ١٦ وَ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (الانفطار: ١٣-١٩). و هكذا في المقابل الجنة لمن أطاعوا الله و لم يقابلوه بالمعاصي، و نارا للفجار لا يغيبون عنها لحظة واحدة. جهنم، دار الذل و الهوان و العذاب و الخذلان، أهلها

أهل البؤس والشقاء، وعند ما يراهم الشيطان يتبؤ منهم كما أخبر القرآن: وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقَّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُضِرِّخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُضِرِّخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (إبراهيم: ٢٢). عند ذلك يشعر أهلها بالحسرة والندم لمعصيتهم الرسول واتباعهم للشياطين من الإنس والجن، وهم في عذاب أليم لا ينقطع ولا يخفف، ولا يسمع لبكائهم و توسلاتهم، مصفدين بالأغلال، مشدودين بالأصفاد، و ثيابهم من قطران، و طعامهم شجرة الزقوم، شجرة قبيحة المنظر سيئة الطعم و الرائحة، لو أن قطراة منها قطرات في دار الدنيا لأفسدت على أهلها حياتهم، شرابهم القيح و الدم يتجرعونه قسرا، و هم يضربون بسياط من حديد، تحيط بهم النار من فوقهم و من تحتهم، تأكل لحومهم و جلودهم ثم تبدل غيرها. أما الجنة فهي نور يتلألأ و ريحانة تهتز و قصد مشيد و زوجة حسنة و فاكهة كثيرة، و لن يدخلها أحد إلا بكلمة التوحيد، و دخولها ليس بالتمنى و لكن بالعمل الصالح، و اتباعا لأوامر الله سبحانه و انتهاء عما نهى عنه، و قد أعد الله الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٩٨ لأهلها ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا- خطر على قلب بشر، لها ثمانية أبواب يدخل الأبرار من أحد أبوابها حسب أعمالهم، و أما السابقون فيدعون من جميع أبوابها، و درجاتها بين كل درجتين كما بين السماء و الأرض، و أشجارها يسير الراكب في ظلها مائة عام، أنهارها تتفجر من عند عرش الرحمن، و أما نعيمها الدائم فهو رضا الله عن أهلها. عن أبي سعيد رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا و سعديك و الخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: و ما لنا لا نرضى يا رب و قد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: الا أعييتكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب و أى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا» (متفق عليه). يقول سبحانه: إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ١ وَ أَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَ حَقَّتْ ٢ وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ٣ وَ أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَ تَخَلَّتْ ٤ وَ أَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَ حَقَّتْ ٥ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ٦ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ٨ وَ يَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ٩ وَ أَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ١١ وَ يَصْلى سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ١٣ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ١٤ بلى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (الانشقاق: الانشقاق: ١- ١٥). و تكاد لا تخلو سورة من سور القرآن إلا و أشارت إلى الجنة و النار. يقول تعالى: وَ نَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (الأعراف: ٤٤). قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «يؤتى بالموت فى صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة و النار، ثم يقال يا أهل الجنة: خلود فلا موت، و يا أهل النار: خلود فلا موت» (رواه الشيخان). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ٩٩

البروج و الطارق [الثبات على المبدأ]

البروج و الطارق [الثبات على المبدأ] مكيتان و ترتيبهما حسب المصحف الشريف (٨٥، ٨٦)، و حسب نزول الوحي (٢٧، ٣٦)، و قد سميت معا «بالسماوات» (كما جاء فى مسند أحمد). و السورتان تأكيد لمبادئ المسلم الثابتة و الراسخة و التى لا شبهات فيها. و إذا كان سورة «البروج»، هى الوفاء للمبدأ و العيش به و من أجله، فإن سورة «الطارق»، جاءت لتزجر أصحاب الضمائر الخربة و التى تضع الحديد فى أعناق الأبرياء، و أصحاب النفوس الضعيفة و التى تلقى بالتهم جزافا على الأبرياء. و سورة «البروج»، تذكر لنا أحد الذين تكلموا فى المهدي، منهم ما هو مجمع عليه، و منهم ما هو مختلف عليه. أما المجمع عليه فهم ثلاثة: أولهم عيسى بن مريم عليه السلام حينما تكلم فى المهدي بأنه عبد الله و رسوله و أنه يعيش مباركا، و يموت كأى البشر، و يبعث يوم القيامة و ليس له من الأمر شىء، لأن الأمر كله بيد الله سبحانه و تعالى. و الثانى - هو جريج الراهب و الذى دعت عليه أمه: «اللهم لا تمته حتى ينظر فى وجوه المومسات»، لأنه انشغل بصلاة النفل عنها، و لما ادعت عليه امرأة زانية بأن هذا الولد منه، دعا الله و سأل الغلام: من أبوك؟ فقال: فلان الراعى، ثم قال جريج: أدركت دعوة أمى. الإعجاز القرآني فى فواتح السور و خواتمها، ص: ١٠٠ و أما الثالث فهو الرضيع فى حجر أمه و قد

الكافرون و النصر [كراهية الكفار لسورتي الكافرون و الاخلاص الكافرون «مكية»، و النصر «مدنية». و ترتيبهما حسب المصحف (١٠٩، ١١٠)، و حسب النزول (١٨، ١١٤)، و «الكافرون»، مكية و آياتها (٦)، نزلت بعد الماعون، و «النصر»، نزلت بمضى في حجة الوداع، فتعد مدنية و هي آخر ما نزل من السور و آياتها (٣)، نزلت بعد التوبة. يقول الشيخ الشعراوي: ترتيب سورة الاخلاص بعد سور: الكافرون و النصر و المسد ترتيب ضروري .. لما ذا؟ لأن الأولى تقطع العلاقات تماما مع الكافرون، كأن المنهج الذي نزل من عند الله على رسوله صلى الله عليه و سلم، عورض من الكافرين، فكانوا يصدون على النقيض الذي هو الكفر و الشرك .. و إذن، فلا تفاهم. و يلاحظ أن القطع جاء من قبل الرسول صلى الله عليه و سلم مرتين بشكليين مختلفين: أولهما لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ (الكافرون: ٢)، و الثاني: وَ لَا أَتَمُّ عَابِدُونَ ما أَعْبُدُ (الكافرون: ٣)، و في ذلك ترسيخ لمعنى التوحيد فى الأذهان، لأن الظروف قد تضطر الإنسان إلى قطع العلاقات فى الوقت الحاضر، ثم يعود مستقبلا تحت ضغط ظروف مغايرة إلى إعادة العلاقات مرة أخرى، فأكدت السورة على قطع العلاقات مع الكافرين تحت أى ظروف، و يستفاد من معنى قطع العلاقات، الاعتراف بوجود خصم، و بدين يدين به، لكن أ يظل الوضع هكذا؟ فجاءت سورة «النصر»: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ (النصر: ١)، مشيرة إلى القضاء على الكفر، و قد يعنى أن كل الكافرين سيؤمنون بدين الله، لذا جاء الاستثناء القرآني الإعجاز القرآني فى فواتح السور و خواتمها، ص: ١٠٤ مؤكدا وجود كفار معاندين مثل أبى لهب يحاربون الدعوة، و لذلك كانت سورة المسد تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّتْ (المسد: ١)، الثالثة بعد السورتين السابقتين، لتستثنى صنيديا من صناديد الكفر من الإيمان، بعد ذلك سورة «الإخلاص»، لتقرر حقيقة أن مصدر كل ما سبق من الآيات، هو إله واحد، فكل ما قيل هو كلام ثابت لا معقب عليه، و لا تغيير فيه. و بذلك انسجمت كل السور مع بعضها. (من كتاب القرآن معجزة و منهج/ باب التوحيد). قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (الكافرون: ١)، نداء خاص و أريد به العام: خاص لكفار مكة و عام يشمل كل كافر على وجه الأرض إلى يوم القيامة، و هي سورة البراءة من الكفر و الآمرة بالإخلاص، و سبب نزولها أن الكفار من جهلهم دعوا النبي صلى الله عليه و سلم لعبادة أوثانهم سنة، ثم يعبدون الله فى السنة الأخرى، كقوله تعالى: إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى (النجم: ٢٣). و كان رسول صلى الله عليه و سلم يوصى الصحابة بقراءة سورة التوبة و يقول إنها براءة من الشرك. إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ ١ وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (النصر: ١-٣)، تعدل ربع القرآن، و آخر سورة نزلت من القرآن، و كان صلى الله عليه و سلم يكثر بعد قراءتها: «سبحان اللهم ربنا و بحمدك، اللهم اغفر لى إنك أنت التواب الرحيم» «١»، و السورة تتحدث عن فتح مكة الذى عز الله به المسلمين، فكان هذا الإخبار دليلا على صدق نبوته صلى الله عليه و سلم (١) رواه

البخارى، و بقیة الجماعة إلا الترمذی. «عمدة التفاسیر مختصر تفسیر ابن كثير» للعلامة أحمد شاكر، المجلد الثالث، ص ٧٤٤. الإعجاز القرآني فى فواتح السور و خواتمها، ص: ١٠٥ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّتْ (المسد: ١)، و سبب نزولها ما جاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه و سلم خرج إلى البطحاء، فصعد الجبل فنادى: «يا صباحاه»، فاجتمعت إليه قريش فقال: «أ رأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أ كنتم تصدقونى؟» قالوا: نعم، قال: «فإن نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: أ لهذا جمعنا؟ تبا لك!! فأنزل الله السورة إلى آخرها، (صحيح البخارى). و سورة «المسد»، تعد من أقوى الأدلة على أن القرآن وحى من السماء، فقد أخبر أنه و زوجته فى نار جهنم، و تحقيق ذلك لعدم إيمانها و ماتا على الشرك. و أما سورة «الإخلاص»: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ ٣ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (الإخلاص: ١-٤)، فهى غاية الإعجاز و الإيجاز، و هى إثبات و نفى: فالآية الأولى - أثبتت الوحداية و نفت التعدد. و الآية الثانية - أثبتت الكمال و نفت النقص. و الآية الثالثة - أثبتت البقاء و نفت الذرية. و الآية الرابعة - أثبتت العظمة و نفت الند. و هى و المعوذتان كان يقرؤهم رسول الله صلى الله عليه و سلم كل ليلة إذا أوى إلى فراشه، و ذلك لأن السور الثلاث تجمع صفات الرب - عز و جل - الربوبية و الملك و الإلهية، فكان على المستعبد أن يتعوذ بالمتصف بهذه

الصفات، لأنه لا لجوء إلا لحمى الله، ولا احتماء إلا برب الأرباب. وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل الذي كان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بسورة «الإخلاص»، قال: «أخبروه أن الله تعالى يحبه» (البخارى في باب التوحيد). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ١٠٦ و أخبر صلى الله عليه وسلم لمن قال أنه يجب هذه السورة: «إن حبك إياها أدخلك الجنة» (أحمد في مسنده). وأنه قال صلى الله عليه وسلم لرجل سمعه يقرأها: «و الذي نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن» (رواه البخارى). و من هذا يتضح أن السور الثلاث لها عظيم المنفعة في دفع السحر و العين و سائر الشرور من إنسى أو جنى أو صاعقة أو ريح أو دابة أو أى بلاء، و أنها تضع أسس العقيدة الصحيحة، و أنه سبحانه الواحد الأحد، الجامع لصفات الكمال، المنزه عن مشابهة الخلق و عن المجانسة و المماثلة و التثليث و الذرية، و أنه جل و علا- كما وصف نفسه في كتابه الكريم، و كما جاء في السنة المطهرة عن نبيه صلى الله عليه وسلم. و من الأمور الهامة معرفة سبب غيظ أهل الكفر و الضلالة من أمور ثلاثة: آية سورة «الفتح»، و التي تبين هذا الدين الحنيف و الذى سيظهره الله على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض من عرب و عجم و ملين و مشركين و كفار، و أنه سبحانه شهيد على ذلك لأنه ناصر رسول الله صلى الله عليه وسلم. سورة «الإخلاص»، و هى نسبة الله الواحد الأحد الصمد الذى لا نظير له، و صفة الرحمن الذى ليس له ولد و لا والد و لا صاحبة، لأن كل ما يولد لا بد و أن يموت، و كل ما يموت سيورث، و الله- عز و جل- لا- يموت و لا يورث، و هى بهذا تهدم عقيدتهم الفاسدة لمن كان عزيز و عيسى عليها السلام فتنه لهم، أو من عبدوا الشمس و القمر و الأوثان و غيرها. الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ١٠٧ سورة «الكافرون»، و هى سورة البراءة من العمل الذى يعمله المشركون، و التبرؤ منهم فى جميع ما هم فيه و ذلك فى الماضى و فى الحاضر و فى المستقبل، و نفى فعل عبادتهم نفياً كلياً أى نفى الوقوع و نفى الإمكان الشرعى أيضاً، لأن الكفر ملة واحدة باطلة، و لا دين إلا الإسلام الذى كلمته: «لا إله إلا- الله و أن محمداً رسول الله»، أى لا- معبود إلا الله، و لا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول النبى الأسمى الصادق الأمين نبى الرحمة و نبى الملحمة و العاقب و المقفى و الحاشر صلى الله عليه وسلم. بسم الله الرحمن الرحيم: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينِ الْكَافِرُونَ ٦٠١. و هذا يفسر كراهيتهم و حقدهم الأسود على تلك الآيات الكريمة بالذات، و محاولتهم المشبوهة لتحريفها أو حذف كلمات منها لتغيير معناها، و لكن كل تلك المحاولات ستضيع سدى: يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ اللَّهُ مُنِيرُهُمْ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (الصف: ٨). [تصوير] الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ١٠٨

خاتمة الكتاب

خاتمة الكتاب يقول سبحانه و تعالى: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ (النحل: ٨٩). ما من يوم يمر على البشرية إلا- و يتأكد للناس أجمعين أن هذا القرآن اشتمل على كل ما يخطر على بال الإنسان مما يتصل بسعادته فى الدارين سواء ما قرب منها أو بعد، و أنه حوى كل القيم البديلة التى تحقق له الحياة الفاضلة، و أنه تنزيل من عند الله الخالق العظيم الذى يعلم الغيب وحده، و أنه لا قدرة للعقل البشرى على ما ورد به من آيات واضحة تعرض الماضى و الحاضر و المستقبل. يقول سبحانه فى آخر سورة الشورى: وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ وَ لَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٢ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (الشورى: ٥٢-٥٣). يقول فضيلة الإمام الشيخ جاد الحق على جاد الحق- شيخ الأزهر الأسبق- فى تصديره لكتاب (الإعلام فى القرآن الكريم) للدكتور محمد عبد القادر حاتم: «إن القرآن الكريم كتاب الله أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بلاغا للناس، و دعوة إلى الصلاح و الإصلاح، بين الله فيه أصول العبادات، و ضوابط المعاملات و أنماط الأخلاق التى ارتضاها الله لبنى الإنسان، حتى تستقر حياتهم على هذه الأرض، و يستمر نموها، فتعمر بهم، و تأخذ زخرفاً، و تسفر عما اختزنه الله فيها و عليها من

أرزاق الناس. الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ١٠٩ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، نشأت على شواطئه و من ثمراته علوم متنوعة افترعها علماء المسلمين من نصوصه المباركة، فكانت علوم القرآن التي ما تزال تتحرى، ففي كل وقت يستظهر المسلمون، بل و غير المسلمين صنوفا من العلوم تتنوع لتخصص الدارس لهذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، لأنه تنزيل من حكيم حميد. و يستمر هذا الاستظهار و يثمر تحقيقا لوعده الله الذي لا يتخلف. (من مقدمه كتاب «الإعلام من القرآن الكريم»). و الله سبحانه و تعالى يوجه الخطاب للمكذبين شفقة و رحمه بهم في آخر سورة «فصلت»، و ما ذا لو كان هذا القرآن من عند الحق سبحانه كما أخبر نبيه الصادق الأمين صلى الله عليه و سلم؟ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ٥٢ سَيُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٥٣ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (فصلت: ٥٢-٥٤). قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ: صعد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه المنبر فحمد الله و أثنى عليه، و قال: «أما بعد أيها الناس فإنني لم أجمعكم لأمر أحدثه فيكم، و لكن فكرت في هذا الأمر الذى أتم إليه صائرون، إن المصدق بهذا الأمر و لا يعمل له فهو أحق، و المكذب به فهو هالك». سَيُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ: تباينت أقوال المفسرين قديما و حديثا، و تعددت عن الآية الكريمة و كلها أقوال صحيحة يصدق بعضها بعضا، و سوف تظهرها العديد من التفاسير للفقهاء و العلماء في كل التخصصات و ذلك إلى يوم القيامة و كلها تؤكد إلى حد اليقين قوله تعالى: حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ١١٠ جاء في تفسير ابن كثير: الآفاق هي في أقطار السموات و الأرض و هي أيضا الفتوحات و ظهور الإسلام على الأقاليم و سائر الأديان، و في أنفسهم هو الإنسان و ما هو مركب منه و فيه و عليه. (١١٩/٤). و جاء في تفسير الجلالين: الآفاق هي النيران و النبات و الأشجار و البحار و الأنهار، و في أنفسهم أى من لطيف الصنعة و بديع الحكمة. (٢/٤٠٥). و جاء في تفسير أبى السعود: وضع الموصول مَنْ أَضَلُّ، موضع الضمير «منكم»، شرحا لحالهم، و تعليلا لمزيد ضلالهم، و سنظهر لهؤلاء المشركين دلالاتنا و حججنا على أن القرآن حق فنزل من عند الله. (٥/٢٧). و جاء في تفسير القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن): المراد ما فى أنفسهم من لطيف الصنعة، و بديع الحكمة، و من بديع صنعة و حكمته خلق عين الإنسان من قطرة ماء، و فى أذنيه اللتين يفرق بهما بين الأصوات المختلفة. (١٥/٣٧٥). و معظم المفسرين القدامى كانت تفاسيرهم للآية تدور حول هذه المعانى مثل الطبرى في «جامع البيان»، و أبو حيان فى «البحر المحيط»، و السيوطى فى «التفسير بالمأثور»، و البيضاوى فى «أنوار التنزيل»، و الزمخشرى فى «الكشاف»، و الآلوسى فى «روح المعانى»، و الرازى فى «مفاتيح الغيب»، و غيرهم. و أما المحدثون و خاصة ما يسمى «التفسير العلمى»، و الذى يتناول الآية من ضلال الحقائق الثابتة، و أما ما ارتبط بالنظريات المتجددة فلا يلتفت إليه. و سوف نذكر الإشارات العلميه الكونية و التى جاءت فى سورة «فصلت»، «حم السجدة» و التى تؤكد آية الدلالات الخارجيه فى الآفاق و التأمل فى أعماق النفس البشرية. الإعجاز القرآني فى فواتح السور و خواتمها، ص: ١١١ يقول تعالى: وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ لِيُنزِلَ فِيهَا مِنَ أَنفُسِهَا فَالْمَاءُ بِهَا يَحْيَى الْبَلَاحُ وَ يَمُوتُ فِيهَا وَ يَحْيَى لَهَا بَعْضُهَا وَ يَمُوتُ لَهَا بَعْضُهَا وَ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (فصلت: ١٠). أكد العلم الحديث أن الجبال الثوابت هي من أهم أسباب توازن الأرض، و يتعجب العلماء من توازن الألوان كما جاء فى القرآن و ذكر نعوت أنواعها و تدرج ألوانها، كقوله تعالى: وَ جَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَ جَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (الأنبياء: ٣١). و جاء فى سورة «فصلت»، أيضا قوله تعالى: فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا وَ زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَ حِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (فصلت: ١٢). يؤكد العلم الحديث أن كل يوم استغرق ملايين السنين، فأما اليوم الأول ما كانت فيه السموات متصله بالسديم، و بعد اليوم الثانى انفصلت عنه. و جاء فى نفس السورة: وَقَالُوا لَجُودُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (فصلت: ٢١). المئات من الأدلة تثبت أن البعث حقيقة ثابتة منها ما أثبتته العلم الحديث بوجود جزء من الإنسان لا- يغنى بموته، و منها ما يراه أمام عينيه مثل إحياء الأرض الميتة بإخراج النبات منها، بل و إن استرجاع صور الموتى يتكلمون و يضحكون و يبكون و كأنهم أحياء لأكبر دليل على البعث الذى هو شيء هين على الله القادر سبحانه و تعالى، كما

جاء في سورة «الروم»: وَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (الروم: ٢٧). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ١١٢ ثم تأتي آية «الآيات الأربع»: وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (فصلت: ٣٧). أثبت العلم الحديث أن الشمس والقمر كل منهما يجرى في مداره الخاص به و الذي يوازي مدار الآخر، ولهذا فهما لا يلتقيان أبدا، و من هنا كان الليل و النهار لا يجتمعان معا، و إلا كان الليل سرمديا لا نهار له أو العكس، و أصبحت الحياة مضطربة، كقوله تعالى: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (يس: ٤٠). و أما آية «الإحياء» للأرض و للموتى: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (فصلت: ٣٩). إن الآية الكريمة تقرر حقيقة ثابتة اطمان لها العلم الحديث تماما، و هي أن الماء سبب خلق الكائنات الحية بلا استثناء، كقولي تعالى: وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (الأنبياء: ٣٠). إنه و حتى آخر الزمان سوف يطلع الله جل و علا البشرية على أقل القليل من أسرار هذا الكون، ليستدلوا على صدق ما أخبرت به الآية: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (فصلت: ٥٣). و لهذا دائما ما يعرض القرآن موقف الفريقين: الكافر و المؤمن، من الكتاب الذي بينت آيات الأحكام و المواعظ و أحسن القصص: مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (هود: ٢٤). الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ١١٣ و هكذا يتسق الختام مع البدء في تناسق تام في سورة الإشارات و التأملات بأن القرآن هو الحق المنزل من الله سبحانه و تعالى: حم ١ نَزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا إِنَّنَا عَامِلُونَ ٥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ٧ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (فصلت: ١-٨). [تصوير] الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ١١٤

أهم المراجع الأساسية

أهم المراجع الأساسية ١- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير الدمشقي (٤ أجزاء) الناشر/ دار التقوى - عالم المعرفة - المنيا - ملوى.
٢- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني دار المطبعة السلفية بالقاهرة - باب تفسير القرآن. ٣- تفسير الجلالين مكتبة الجمهورية العربية بالقاهرة - و العديد من المراجع التي تم ذكرها في مواضعها من الكتاب. الإعجاز القرآني في فواتح السور و خواتمها، ص: ١١٥

الفهرس

الفهرس م/ السور/ الموضوع/ صفحة المقدمة/ ٥ ١/ أم الكتاب و البقرة/ الفئات الثلاث/ ٧ ٢/ آل عمران و النساء/ التقوى/ ١٠ ٣/ المائدة و الأنعام/ الإسلام أول النعم/ ١٤ ٤/ الأعراف و الأنفال/ ذكر الله تعالى/ ١٨ ٥/ التوبة و يونس/ صفاته صلى الله عليه و سلم/ ٢٣ ٦/ يونس و هود/ رحمته صلى الله عليه و سلم/ ٢٧ ٧/ يوسف و الرعد/ فضائل القرآن الكريم/ ٣١ ٨/ الإسراء و الكهف/ الحمد لله/ ٣٦ ٩/ الكهف و مريم/ أفضل الدعاء/ ٣٩ ١٠/ الحج و المؤمنون/ صفات المؤمنين/ ٤٣ ١١/ النور و الفرقان/ علم الله سبحانه و تعالى/ ٤٧ ١٢/ النمل و القصص/ موسى عليه السلام مع فرعون/ ٥١ ١٣/ الروم و لقمان/ الأمثال في القرآن/ ٥٦ ١٤/ لقمان و السجدة/ مفاتيح الغيب الخمس/ ٦٠ ١٥/ السجدة و الأحزاب/ استعجال العذاب/ ٦٤ ١٦/ فاطر و يس/ عاقبة المكذبين/ ٦٨ ١٧/ يس و الصافات/ كلمة التوحيد/ ٧٢ ١٨/ الصافات و «ص»/ وعد الله بالنصر/ ٧٦ ١٩/ «ص» و الزمر/ الإخلاص في العبادة/ ٨٠ الإعجاز القرآني في فواتح السور

و خواتمها، ص: ١١٦ م/ السور/ الموضوع/ صفحة ٢٠/ الزمر و غافر/ التقابل في القرآن/ ٨٤ ٢١/ محمد و الفتح/ الأسوة الحسنة/ ٨٨
 ٢٢/ النجم و القمر/ علامات الساعة/ ٩٢ ٢٣/ التكوير و الانفطار/ الجنة و النار/ ٩٦ ٢٤/ البروج و الطارق/ الثبات على المبدأ/ ٩٩ ٢٥/
 الكافرون و النصر كراهية الكفار لسورتي الكافرون و الإخلاص/ ١٠٣ خاتمة الكتاب/ ١٠٨ أهم المراجع الأساسية/ ١١٤ الفهرس/ ١١٥

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١). قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرُّضَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فِي تَلْخِصِ بَحَارِ الْأَنْوَارِ، لِلْعَلَّامَةِ فَيْضِ الْإِسْلَامِ، ص ١٥٩؛ عِيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الْبَابُ ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧). مَوْسَسٌ مُجْتَمَعٌ "الْقَائِمِيَّةُ" الثَّقَافِيَّةُ بِأَصْبَهَانَ - إِيْرَانُ: الشَّهِيدُ آيَةُ اللَّهِ "الشَّمْسُ آبَادِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَانَ أَحَدًا مِنْ جِهَابِيذِهِ هَذِهِ الْمَدِينَةُ، الَّتِي قَدْ اشْتَهَرَ بِشَعْفِهِ بِأَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) وَ لَاسِيَّمَا بِحَضْرَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرُّضَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ بِسَاحَةِ صَاحِبِ الزَّمَانِ (عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ)؛ وَ لِهَذَا أُسِّسَ مَعَ نَظَرِهِ وَ دِرَايَتِهِ، فِي سَنَةِ ١٣٤٠ الْهَجْرِيَّةِ الشَّمْسِيَّةِ (= ١٣٨٠ الْهَجْرِيَّةِ الْقَمْرِيَّةِ)، مَوْسَسَةٌ وَ طَرِيقَةٌ لَمْ يَنْطَفِئْ مِصْبَاحُهَا، بَلْ تَتَّبَعُ بِأَقْوَى وَ أَحْسَنِ مَوْقِفٍ كُلِّ يَوْمٍ. مَرْكَزُ "الْقَائِمِيَّةُ" لِلتَّحْرِيِّ الْحَاسُوبِيِّ - بِأَصْبَهَانَ، إِيْرَانُ - قَدْ ابْتَدَأَ أَنْشِطَتُهُ مِنْ سَنَةِ ١٣٨٥ الْهَجْرِيَّةِ الشَّمْسِيَّةِ (= ١٤٢٧ الْهَجْرِيَّةِ الْقَمْرِيَّةِ) تَحْتَ عَنَايَةِ سَمَاحَةِ آيَةِ اللَّهِ الْحَاجِّ السَّيِّدِ حَسَنِ الْإِمَامِيِّ - دَامَ عِزُّهُ - وَ مَعَ مَسَاعِدِهِ جَمَعَ مِنْ خِرَاجِي الْحُوزَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَ طُلَّابِ الْجَوَامِعِ، بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ، فِي مَجَالَاتٍ شَتَّى: دِينِيَّةً، ثَقَافِيَّةً وَ عِلْمِيَّةً... الْأَهْدَافُ: الدَّفَاعُ عَنِ سَاحَةِ الشَّيْعَةِ وَ تَبْسِيطُ ثَقَافَةِ الثَّقَلَيْنِ (كِتَابُ اللَّهِ وَ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَ مَعَارِفُهُمَا، تَعْزِيزُ دَوَافِعِ الشُّبَابِ وَ عُمُومِ النَّاسِ إِلَى التَّحْرِيِّ الْأَدَقِّ لِلْمَسَائِلِ الدِّيْنِيَّةِ، تَخْلِيفُ الْمَطَالِبِ النَّافِعَةِ - مَكَانَ الْبِلَاتِيثِ الْمُبْتَدَلَةِ أَوْ الرَّدِيئَةِ - فِي الْمَحَامِيلِ (=الْهَوَاتِفِ الْمُنْقُولَةِ) وَ الْحَوَاسِبِ (=الْأَجْهَزَةُ الْكُمْبِيُوتَرِيَّةُ)، تَمْهِيدُ أَرْضِيَّةٍ وَاسِعَةٍ جَامِعَةٍ ثَقَافِيَّةٍ عَلَى أُسَاسِ مَعَارِفِ الْقُرْآنِ وَ أَهْلِ الْبَيْتِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - بِبَاعِثِ نَشْرِ الْمَعَارِفِ، خِدْمَاتِ لِلْمُحَقِّقِينَ وَ الطَّلَّابِ، تَوْسِعَةُ ثَقَافَةِ الْقِرَاءَةِ وَ إِغْنَاءُ أَوْقَاتِ فِرَاغِهِ هَوَاةِ بَرَامِجِ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ، إِثَالَةُ الْمَنَابِعِ الْلازِمَةِ لِتَسْهِيلِ رَفْعِ الْإِبْهَامِ وَ الشُّبُهَاتِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي الْجَامِعَةِ، وَ... مِنْهَا الْعَدَالَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ: الَّتِي يُمَكِّنُ نَشْرَهَا وَ بَثُّهَا بِالْأَجْهَزَةِ الْحَدِيثَةِ مُتَصَاعِدَةً، عَلَى أَنَّهُ يُمَكِّنُ تَسْرِيعَ إِبْرَازِ الْمَرَاقِفِ وَ التَّسْهِيلَاتِ - فِي آكْنَافِ الْبَلَدِ - وَ نَشْرِ الثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَ الْإِيْرَانِيَّةِ - فِي أَنْحَاءِ الْعَالَمِ - مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. - مِنْ الْأَنْشِطَةِ الْوَاسِعَةِ لِلْمَرْكَزِ: الْف) طَبْعُ وَ نَشْرُ عَشْرَاتِ عُنُوانِ كُتُبٍ، كُتِيبَةٍ، نَشْرُهُ شَهْرِيَّةٌ، مَعَ إِقَامَةِ مَسَابِقَاتِ الْقِرَاءَةِ (ب) إِنتَاجُ مِائَاتِ أَجْهَزَةٍ تَحْقِيقِيَّةٍ وَ مَكْتَبِيَّةٍ، قَابِلَةٌ لِلتَّشْغِيلِ فِي الْحَاسُوبِ وَ الْمَحْمُولِ (ج) إِنتَاجُ الْمَعَارِضِ ثَلَاثِيَّةِ الْأَبْعَادِ، الْمَنْظَرِ الشَّامِلِ (= بَانُورَامَا)، الرُّسُومِ الْمُنْتَحَرَكَةِ... الْأَمَاكِنِ الدِّيْنِيَّةِ، السِّيَاحِيَّةِ وَ... (د) إِبْدَاعُ الْمَوْقِعِ الْإِنْتَرْنِي "الْقَائِمِيَّةُ" www.Ghaemiyeh.com وَ عِدَّةُ مَوَاقِعٍ أُخْرَى (ه) إِنتَاجُ الْمُنْتَجَاتِ الْعَرْضِيَّةِ، الْخَطَّابَاتِ وَ... لِلْعَرْضِ فِي الْقَنُوتِ الْقَمْرِيَّةِ (و) الْإِطْلَاقُ وَ الدَّعْمُ الْعِلْمِيُّ لِنِظَامِ إِجَابَةِ الْأَسْئَلَةِ الشَّرْعِيَّةِ، الْإِخْلَاقِيَّةِ وَ الْإِعْتِقَادِيَّةِ (الِهَاتِفُ: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤ (ز) تَرْسِيمُ النِّظَامِ التَّلْقَائِيِّ وَ الْيَدَوِيِّ لِلْبَلُوتُوْثِ، وَ يِبْ كَشْكُ، وَ الرُّسَائِلِ الْقَصِيرَةِ SMS (ح) التَّعَاوُنُ الْفَخْرِيُّ مَعَ عَشْرَاتِ مَرَاكِزِ طَبِيعِيَّةٍ وَ اعْتِبَارِيَّةٍ، مِنْهَا بِيُوتِ الْآيَاتِ الْعِظَامِ، الْحُوزَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، الْجَوَامِعِ، الْأَمَاكِنِ الدِّيْنِيَّةِ كَمَسْجِدِ جَمْكِرَانَ وَ... (ط) إِقَامَةُ الْمُؤْتَمَرَاتِ، وَ تَنْفِيزُ مَشْرُوعٍ "مَا قَبْلَ الْمَدْرَسَةِ" الْخَاصَّ بِالْأَطْفَالِ وَ الْأَحْدَاثِ الْمُشَارِكِينَ فِي الْجِلْسَةِ (ي) إِقَامَةُ دُورَاتِ تَعْلِيمِيَّةٍ عُمُومِيَّةٍ وَ دُورَاتِ تَرْبِيَةِ الْمَرْبِيِّ (حُضُورًا وَ افْتِرَاضًا) طِيلَةُ السَّنَةِ الْمَكْتَبِ الرَّئِيسِيِّ: إِيْرَانُ/أَصْبَهَانَ/ شَارِعُ "مَسْجِدِ سَيْدِ" "مَا بَيْنَ شَارِعِ" "بِنَجِ رَمَضَانَ" وَ مُفْتَرَقِ "وَفَائِي" "بِنَايَةِ" الْقَائِمِيَّةِ "تَارِيخُ التَّأْسِيسِ: ١٣٨٥ الْهَجْرِيَّةِ الشَّمْسِيَّةِ (= ١٤٢٧ الْهَجْرِيَّةِ الْقَمْرِيَّةِ) رَقْمُ التَّسْجِيلِ: ٢٣٧٣ الْهَوِيَّةُ الْوَطْنِيَّةُ: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦ الْمَوْقِعُ: www.ghaemiyeh.com الْبَرِيدُ الْإِلِكْتُرُونِي: Info@ghaemiyeh.com الْمَتَجَرُ الْإِنْتَرْنِي: www.eslamshop.com الْهَاتِفُ: ٢٥-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١) الْفَاكْسُ: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١) مَكْتَبُ طَهْرَانَ ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١) التَّجَارِيَّةُ وَ الْمَبِيعَاتُ ٠٩١٣٢٠٠١٠٩ أُمُورُ الْمُسْتَعْمَلِينَ ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١) مَلَاخِظَةُ هَامِيَّةُ: الْمِيزَانِيَّةُ الْحَالِيَّةُ لِهَذَا

المركز، شعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنيت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافي الحجم المتزايد و المتسّع للامور الدينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركز صاحب هذا البيت (المُسمّى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجه الشّريف) أن يُوفّق الكلّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان
الغائمي



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للإبصار من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

